الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الشهيد حمَّه لخضر الوادي

كُلِّية: الآداب واللُّغات قسم: اللغة والأدب العربي

حجاجيّة التراكيب والأساليب في قصار السور

مُذكرة مُعَدَّة ضمن متطلبات نيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي

-تخصُّص لِّسانيات عامة-

إعداد الطالبتين: إشراف الدكتور:

-صفاء مليك -نصر الدِّين وهابي

-يمينة بريك

الموسم الجامعي: 1438 – 1439هـ المُوافق لـ 2017 – 2018م

بسم الله الرحمن الرحيم

قال رسول الله صل الله عليه وسلم

«مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ»

صححه الألباني

ما الفضل إلّا لأهل العلم إنهم ... على الهدى لمن استهدى أدلاءُ

وقيمة المرء ما قد كان يحسنه ... والجاهلون لأهل العلم أعداءُ

فقم بعلمٍ ولا تطلب به بدلاً ... فالناس موتى وأهل العلم أحياءُ

ديوان أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب كرّم الله وجهه: ص 7 .

شكر وعرفان

الحمد لله الذي أنار لنا درب المعرفة وأعاننا على إنجاز هذا العمل ووفقنا إلى أداء هذا الواجب

نتوجه بجزيل الشكر والامتنان للأستاذ المشرف "نصر الدين وهابي" على تفضله وقبوله الإشراف على هذه المذكرة.

وأيضا وفاءً وتقديرًا واعترافًا منّا بالجميل نتقدم بالشكر الموصول إلى أساتذتنا الأفاضل وعلى رأسهم: محمد عطا الله، فتحي بجه، عمار زربيط.

وكذلك شكر خاص للدكتور عز الدين الناجح على ارشاداته ونصائحه القيمة.

وفي الأخير لابد من كلمة شكر ومحبة إلى كل من شدّ أزرنا وكل من ساندنا في عملنا هذا وأعطانا القدرة والإصرار في تحقيق هدفنا حتى ولو كان بكلمة تشجيع واحدة

ومن فاتنا ذكر أسمائهم، جزاهم الله خير الجزاء.

الإهداء

الحمد لله الذي هدانا لهذا لولا أن هدانا الله ما كنّا لنهتدي

نهدي ثمرة جهدنا هذا إلى:

من تحلو الحياة بوجودهما إلى من تطمئن العين لرؤيتهما ويرتاح القلب لسماع صوتهما

الوالدين الكريمين أدعو الله أن يبارك عمرهما

إلى إخوتنا وسندنا في الحياة كل واحد باسمه سدّد الله خطاهم

إلى أخواتنا الغاليات زهرة، هدى، دلال

إلى من سيشاركني حياتي المستقبلية بإذن الله عباس

إلى من تذوقنا معهم أجمل اللحظات إلى من جعلهم الله إخوتنا في الله صديقاتنا وخاصة أختنا

الغالية صورية

إلى كل من ساهم في تلقيننا ولو بحرف في حياتنا الدراسية

وإلى كل من ساندنا وشجعنا في تحقيق طموحنا

صفاء ، يمينة

ملخص:

تناول هذا البحث موضوع من أهم المواضيع التي شغلت الساحة الفكرية واللغوية قديما وحديثا ، ألا وهو الحجاج وبالتحديد في قصار السور.

وقد حاولت هذه الدَراسة الإجابة عن الإشكالية الآتية: ما هي الأبعاد الحجاجية للبنية اللغوية في قصار السور؟.

وتهدف هذه الدَراسة إلى إظهار فعالية الحجاج في استخراج المعاني الضمنية في ثنايا الآيات والسور. وقد انتهجنا المنهج الوصفي على اعتبار أنَه يتوافق مع الدَراسة اللغوية وكذلك المنهج التداولي بوصفه أنجع أداة إجرائية تظهر أوجه استعمال الحجاج في الخطاب القرآني.

توصلنا إلى نتائج أهمها:

أنَ من خصائص قصار السور كثرة أسلوب التأكيد فيها ووسائل التقرير ترسيخا للمعاني وكذلك آياتها التي جاءت موجزة محملة بالدلالات الايحائية الإقناعية التي تسهم بقدر كبير في تحقيق مقاصد المتكلم والتأثير في المتلقي واستمالته لإنجاز فعل معين.

Sommaire:

Cette recherche a porté sur l'un des sujets les plus importants qui occupaient l'arène intellectuelle et linguistique dans les temps anciens et modernes, à savoir les pèlerins et plus précisément dans le Qasr al-Sur.

Cette étude a tenté de répondre au problème suivant: Quelles sont les dimensions de la structure linguistique du mur?.

Le but de cette étude est de montrer l'efficacité des pèlerins dans l'extraction des significations implicites dans les plis des versets et des murs. Nous avons suivi l'approche descriptive comme étant compatible avec l'étude linguistique aussi bien que la méthode délibérative comme l'outil procédural le plus efficace qui montre l'utilisation des pèlerins dans le discours coranique.

Nous avons atteint les résultats suivants:

Que les caractéristiques du court mur de la méthode d'affirmation et les moyens du rapport renforcent les significations et aussi les versets concis avec les connotations suggestives suggestives, qui contribuent significativement aux buts du locuteur et influencent le destinataire et son intention d'accomplir un certain acte.

مُقَدِّمَة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات والصلاة والسلام على من أوتي جوامع الكلم، سيدنا محمد —صل الله عليه وسلم— وعلى آله وصحبه ومن سار على دربه، إلى يوم الدين، وبعد:

يمثل الحجاج بعدًا من أبعاد الخطاب الإنساني يتجلى ذلك في اللّغة المنطوقة كما يتجلى في اللّغة المكتوبة، وهو مجال من الأنشطة الإنسانية التي لقيت اهتمامًا خاصًا عبر العصور منذ بلاغة القدامى الذين جعلوا منه الأساس ذاته للعلاقات الاجتماعية إلى يومنا هذا حيث أضحى أسلوبًا من أساليب الاقناع.

ويعد الخطاب الحجاجي من أهم مجالات البحث والدراسة من أجل الكشف عن مكوناته وآليات اشتغاله والإستراتيجية الخطابية التي ينشأ وفقها هذا الجنس من أجناس الخطاب إلى جانب دور اللّغة فيه وما تؤديه من وظيفة إقناعية تسهم بقدر كبير في تحقيق مقاصد المتكلم والتأثير في المتلقي واستمالته لإنجاز فعل معين، فالحجاج آلية لغوية تنبني من مقتضيات السياق المحيط وهدفها هو إقناع المتلقي لتغيير سلوك أو معتقد من خلال توظيف اللّغة بوصفها أداة التواصل.

وعليه فالحجاج شكّل على الدوام ضرورة إنسانية، حيث إنّ الجماعة البشرية على اختلاف لغاتها، ودرجة تطورها وتباين عقلياتها، تصبو دائما فيما بينها وفي محاوراتها مع غيرها إلى إقناع الآخر حول ما تبسطه من آراء ورؤى ومفاهيم، وتحمله على الإذعان لها؛ تلك طبيعة الأشخاص في كل زمان ومكان.

وقد تجلت هذه الظاهرة بأوضح ما يكون في الخطاب القرآني، فمازال القرآن وسيبقى على مرِّ الأزمنة والعصور يحاجج العقول بشتى الطرق بالحجة والبرهان وبالأمثال والحكم بالرمز والتصوير ليدعم إيمان المؤمن ويلطّف من عناد الكافر بأفضل السبل التي تهديه إلى الإيمان والصلاح والتقوى، فهو ينير العقول ويخلّصها من الأوهام الباطلة والخرافات ويدعو إلى التوحيد والإيمان بالله.

ومن هذا المنطلق كان اختيارنا لموضوع يتعلق بالقرآن الكريم من الجانب الحجاجي لما له من صور وأساليب معجّزة ويتيح للأذهان الارتقاء بالأفكار إلى إدراك حقيقة هذا الكتاب المقدس وكذلك الرسالة النبيلة الربانية. فكانت لنا فرصة التأمل في أهدافه من خلال دراسة تراكيبه وأساليبه الحجاجيّة

في قصار سوره، هذا من جهة، ومن جهة أخرى لاحظنا قلة الدراسات في هذا المجال، خاصة ما تعلق منها بالحجاج في القرآن الكريم بسبب جدّة هذا الموضوع في الدراسات العربية المعاصرة في جانبها النظري.

أمّا سبب اختيارنا لقصار السور كمدونة للتطبيق فهو أنّ معظم سورها مكية والقرآن المكي فيه الحجاج، فقد نزل لأهل مكة المشركين لكونه جاء ردًا على معتقداتهم الفاسدة، ويطرح أمرًا أساسيا يتمثل في عقيدة التوحيد وإثبات الحياة بعد الموت والبعث، ويقدم الحجج في قوالب لغوية مختلفة ضدّ ما يعتقده المتلقون من الكفار والملحدين والمنكرين للنبوة والمجادلين.

وعلى ضوء ما سبق يمكن تحديد إشكالية الدِّراسة على النحو التالي: ما هي الأبعاد الحجاجيّة للبنية اللّغوية في قصار السور؟.

وقد تولد عن هذا الإشكال عدّة أسئلة تسعى هذه الدراسة للإجابة عنها نذكر منها ما يلي:

- ما مفهوم الحجاج في النظرية اللّغوية؟
- ما المقصود بالحجاج اللّغوي القرآني؟ وفيما يتمثل منهجه؟.
- وإن كانت سمة الإقناع تلازم الخطاب القرآني، فكيف يمكن تحديد سمات وخصائص قصار سوره على الصعيد الحجاجي؟ وفيما تكمن مظاهر الحجاج في أسلوبها؟.

ومن الأهداف التي تسعى هذه الدراسة إلى تحقيقها ما يلي:

- إبراز القيمة الحجاجيّة للّغة القرآنية.
- إظهار فعالية الحجاج في استخراج المعاني الضمنية في ثنايا الآيات والسور.
- بيان معالم الإقناع في أساليب قصار السور.

أمّا المسار الذي رسمناه لسير هذا العمل فهو تقسيم هذا البحث إلى مقدمة ومدخل وفصلين وخاتمة: فأمّا المقدمة فهي تمثل صورة مصغرة للقارئ بما في هذا الموضوع وتعطيه انطباع عام حول الدراسة. أمّا المدخل فقد اشتمل على المفهوم العام للحجاج، وكذلك معناه في النظرية اللّسانية

ومنهج البحث فيه، وأمّا الفصل الأول وهو بعنوان: الحجاج في القرآن الكريم فقد ضمّنا فيه مفهوم للحجاج اللّغوي القرآني وكيفية البحث فيه، ثم عرضنا عناصر تتعلق بالمدونة بتعريفها وذكر أهم خصائصها الموضوعية، وأيضا خصائصها الفنّيّة من الناحية الأسلوبية الحجاجيّة.

و أمّا الفصل الثاني الموسوم بـ : حجاجيّة التراكيب في قصار السور —دراسة تطبيقية— فقد تطرقنا فيه إلى عنصرين متمثلين في: المؤكّدات في التراكيب وأبعادها الحجاجيّة وكان ذلك في نطاق الجملة بمجموعة من العناصر وهي: إنّ مع اللام والقسم والعطف ..... وغيرها، وأخرى بين الجمل وذلك من خلال التكرار والتذييل والاعتراض، و أمّا العنصر الثاني فهو الحذف وأبعاده الحجاجيّة ويكون أيضا على مستوى الجملة بالاختزال وهذا الأخير كان مدار التطبيق فيه بحذف الفاعل ... وحذف جملة جواب الشرط وجواب القسم وبالنسبة إلى الحذف الذي يكون بين الجمل اكتفينا بظاهرتين هما: الاحتباك والاكتفاء.

وأمّا الخاتمة فقد رصدنا فيها أهم النتائج المتوصل إليها.

ومن الطبيعي أنّ لكل دراسة منهجًا لذلك اعتمدنا على المنهج الوصفي وهذا ما تتطلبه طبيعة الموضوع باعتبار أنّ الوصف يتوافق مع الدراسة اللغوية وكذلك المنهج التداولي بوصفه أنجع أداة إجرائية تُظْهِر أوجه استعمال الحجاج في الخطاب القرآني، وتكشف جوانب مقام هذا الخطاب، ممّا يسمح بالكشف عن المعنى الحجاجي الموجود في ثناياه ومن ثمة إبراز مقاصد المتكلم وأثرها في المتلقي ويكشف الوظيفة الحجاجيّة في بنية الجملة ذاتها.

ولإثراء موضوع هذا البحث رجعنا إلى جملة من المصادر والمراجع من أهمها:

- أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم لحمادي صمود.
- الحجاج في الشعر العربي بنيته وأساليبه لسامية الدريدي.
- الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية لعبد الله صولة.
- البرهان في علوم القرآن لبدر الدين الزركشي.

بالإضافة إلى مجموعة من تفاسير القرآن الكريم وعلى رأسها التحرير والتنوير لمحمد الطاهر بن عاشور.

وفي خضم إنجازنا لهذا البحث واجهتنا صعوبات عديدة نذكر منها:

– تشعب المصطلحات وكثرتها واختلاف مفاهيمها وتصوراتها.

– قلة المراجع العربية الحديثة التي تتناول موضوع الحجاج، وشحّة الدراسات الحجاجيّة التطبيقية عند العرب.

– صعوبة التعامل مع الخطاب القرآني الذي يفرض على الباحث توخي الحيطة والحذر مع تراكيبه ومعانيه باعتباره نصًا مقدسًا يصعب تأويله.

وبفضل الله وعونه تغلبنا على هذه الصعوبات، ثمّ بفضل توجيهات الأستاذ المشرف وبعض الأساتذة.

وفي الختام ما يسعنا إلاّ أن نشكر الله ونحمده على توفيقه ومَنِّه ولُطفِه، وإنّنا لا نزعم أنّنا وفينا الموضوع حقه في الدراسة، فما وصلنا إليه يقصر كثيرًا عمّا كنّا نأمله. ولكن كما يقال ما لا يدرك جلّه لا يترك كلُّه. كما لا يفوتنا أن نتقدم بأسمى عبارات الشكر والتقدير للأستاذ المشرف "نصر الدين وهابي" على متابعته ونصائحه فجزاه الله عنّا خيرًا. ونسأل الله سبحانه أن يجعل عملنا هذا خالصًا لوجهه وأن ينفعنا بما علمنا إنّه على كل شيء قدير.

مدخل: الحجاج اللّغوي مفهومه ومنهجه

أولا: الحجاج

مفهومه

ثانيا: الحجاج في النّظرية اللّغوية

مفهومه

نظريّته ومنهج البحث فيه

أولا: الحجاج

شاع الحجاج في الآونة الأخيرة في مختلف المجالات وأصبح أداة التواصل والمناقشة والحوار البنّاء وهذا ما جعله مصطلح واسع يخضع لمختلف الميادين.

1- مفهومه:

يعتبر الحجاج حقلا واسعا في الدّراسات اللّغوية، فهو مرتبط بالعديد من العلوم والمعارف، وقد تناوله الكثير من الفلاسفة والعلماء واللّغويين بالبحث والتّحليل، ممّا جعله يرتبط بمجموعة من المفاهيم منها البرهان والجدل والاستدلال والتّخاصم ..... إذن ما هو الحجاج؟

أ- المعنى المعجمي في العربية:

وقد ورد معناه اللّغوي في الكثير من المعاجم والكتب، فقد جاء في معجم لسان العرب لابن منظور (ت 711هـ) لفظ "الحجاج" بمعنى: «الحُجَّة: البرهان؛ وقيل: الحُجَّة ما دُوفِعَ به الخصم؛ وقال الأزهري: الحُجَّة الوجه الذي يكون به الظَّفرُ عند الخصومة وهو رجل مِحْجَاجٌ أي جَدِلٌ.

والتَّحَاجُّ: التَّخاصُم؛ وجمع الحُجَّة: حُجَجٌ وحِجَاجٌ. وحَاجَّهُ مُحَاجَّةٌ وحجاجًا: نازعه الحُجَّةَ.

وحَجَّه يَحُجُّه حَجًّا: غَلَبَهُ على حُجَّتِه وفي الحديث: فَحَجَّ آدمُ موسى أي غَلَبَهُ بالحُجَّة.

واحْتَجَّ بالشيء: اتخذه حُجَّة؛ قال الأزهري: إنما سُمّيت حُجَّة لأنها تُحَجُّ أي تقصد لأن القصد لها وإليها [....].

والحُجَّةُ: الدّليل والبرهان. يقال: حاجَجْتُه فأنا محاجٌ وحجِيجٌ، فَعيل بمعنى فاعل. ومنه حديث معاوية: فَجَعَلَتُ أَحُجُّ خَصْمِي أَيْ أَغْلِبُه بالحُجَّة»[1]. إذن الحجاج عند ابن منظور بمعنى البرهان والحجة.

كما نجد عند ابن فارس (ت 395هـ) في مقاييس اللغة: «الحُجَّة مشتقة من المَحَجَّةِ، وهي جادَّة الطريق؛ لأنها تُقْصَد، أو بها يُقْصَد الحقُّ المطلوب يقال: حججت فلانا فَحَجَجْته أي غلبتُه

[1]- ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، ط3، 1994م، مج: 2، مادة (ح ج ج)، ص 228.

بالحجَّة، وذلك الظَّفرُ يكون عند الخصومة والجمع حُجَّج والمصدر الحِجَاج»[1]. أي أن الحجة طريق يسلك لقصد إظهار الحق.

وفي معجم العين نجد المعنى نفسه فـ «الحُجَّةُ: وجْه الظَّفر عند الخصومة»[2]. بمعنى أداة الكلام عند الخصومة أو الحوار.

وجاءت الحُجّة في معجم مختار الصّحاح «بمعنى البرهان وحاجَّه فَحَجَّهُ من باب ردّ أي غلبه بالحُجَّة. وفي المثل: لجَّ فحَجَّ فهو رَجَل (مِحْجَاج) بالكسر أي جَدِلٌ و (التّحاجُّ) التَّخَاصمُ و (المَحَجَّة) بفتحتين جادَّة الطريق»[3]. والحجاج هنا بمعنى البرهان والتخاصم.

وأمّا في معجم المنجد في اللّغة: «حَجَّ: حَجًّا: غلبه بالحُجَّة حاجَّ حِجَاجًا ومُحَاجَّةً: خاصمه. فحجّهُ تحاجًّا: تخاصما .....، احْتَجَّ: ادَّعى وأتى بالحُجَّة الحُجَّة ج حُجَج وحِجَاج: البرهان»[4].

وبناءا على ما سبق نرى أنّ الحجاج يقترن بعدّة معانٍ منها البرهان، والقصد، والجدل والظّفر، والخصام، والدّليل .....، ورغم هذا الاختلاف والتّباين بين هذه المعاني للحجاج إلاَّ أنَّها تُجْمِعُ كلّها على أنّ الحجاج هو الدّليل والبرهان الذي يقدّمه المحاجّ لخصمه، قصد إقناعه والتّأثير فيه.

كما وردت بعض هذه المعاني في القرآن الكريم ومنها قوله تعالى: ﴿وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ﴾[5]. وقال الله تعالى أيضا في مقام آخر: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾[6].

---

[1]- ابن فارس، مقاييس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، ط1، 1991م، مج2، ص 30.

[2]- الخليل بن أحمد الفراهيدي، العين، تح: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، مؤسسة دار الهجرة، (د. ب)، ط2، (د.ت)، ج03، ص 10.

[3]- محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرَّازي، مختار الصحاح، تح: عصام الحرستاني، دار عمار، عمان، الأردن، ط9، 2005م، مادة (حجج)، ص 69.

[4]- لويس معلوف، المنجد في اللغة، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ط19، (د.ت)، ص 118.

[5]- سورة النساء، الآية: 107.

[6]- سورة الأنعام، الآية: 83.

ومعناه إشارة إلى جميع ما تكلّم به إبراهيم في محاجّة قومه[1].

والمجادلة مفاعلة من الجدل وهو القدرة على الخصام والحجّة فيه، وهي منازعة بالقول لإقناع الغير برأيك وجاء هنا الحجاج مرادف لمعنى الجدل والحجّة.

ب- المعنى المعجمي في اللغات الأجنبية:

أمّا عن معنى الحجاج في اللّغات الأجنبيّة فنجد أنّ (Argumentation) تتعدّد معانيها ففي اللّغة الفرنسيّة في قاموس روبير (le robert) تشير لفظة (Argument) إلى عدّة معاني متقاربة أبرزها: «هو مجموعة من الحجج التي تستهدف تحقيق نتيجة واحدة، وهو كذلك فنّ استعمال الحجج أو الاعتراض بها في مناقشة معيّنة وهو أيضا الدّفاع عن اعتراض بواسطة حُجَجْ».[2] فمعناه في اللغة الفرنسية لا يختلف كثير عن معناه في اللغة العربية فهو فن استعمال الحجة في الكلام.

وجاء في القاموس الإنجليزي كامبريدج (Cambrige) أنّ معنى (Argument) تدلّ على: "سبب أو أسباب تؤيّد أو تعارض فكرة أو اقتراح ما"[3] بمعنى أنّ الحجاج هو الحجّة التي تؤيّد وتساند فكرتك أو رأيك في موضوع ما.

كما تشير لفظة حجّة (Argument) في موسوعة لالاند الفلسفيّة إلى معنى: استدلال يرمي إلى برهان قضيّة معيّنة أو دحضها، أمّا مادّة محاجّة (Argumentation) فتعني:

- مسردُ حجج تنزع كلّها إلى الخلاصة ذاتها.
- طريقة عرض الحجج وترتيبها[4].

وممّا سبق نخلص إلى أنّ الحجاج يحمل معنى الاعتراض بالحجج أو التّدليل بها إزاء موقف ما.

---

[1]- محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، الدار التونسية، تونس، (دط)، 1984م، ج7، ص 334.

[2]- أمينة تجاني، الحجاج في رسائل الشيخ أحمد التيجاني –دراسة في وسائل الاقناع– رسالة ماستر في علوم اللسان، جامعة حمه لخضر – الوادي، 2014- 2015، ص 17.

[3]-Cambrige, advencedlearmers, dictionary, cambrge universtiy press .pulbished 2008 , p 67.

[4]- لالاند آندريه (André) lalande، موسوعة لالاند الفلسفية، المجلد الأول، A-G، تعريب: خليل أحمد خليل، منشورات عويدات، بيروت، لبنان، ط2، 2001م، ص 93، 94.

ج- المفهوم الاصطلاحي:

تعدّدت تعريفات الحجاج في الاصطلاح فهو من المفاهيم الملتبسة ذلك أنّه مصطلح متنوّع التّخصّصات ومشاع في كثير من الأنساق العلميّة والحقول المعرفيّة قديما وحديثا، «فالحجاج يكتسب معناه ووظائفه من السّياق الذي يرد فيه، ومن خصوصيّة الحقل التّواصليّ الذي يندمج في استراتيجيّاته الفرديّة والجماعيّة».[1]

ومن بين هذه التّعريفات نذكر ما جاء به طه عبد الرّحمان في كتابه اللّسان والميزان في باب الخطاب والحجاج، يقول: «إنّ حدّ الحجاج أنّه كل منطوق به موجّه إلى الغير لإفهامه دعوى مخصوصة يحقّ له الاعتراض عليها».[2]

وهنا يشير إلى أنّ طبيعة الخطاب لا تتحدّد فقط في العلاقة التّخاطبيّة، بل إنّ للعلاقة الاستدلاليّة أيضا دور في ذلك؛ إذ «لا خطاب بغير حجاج، ولا مخاطِب من غير أن تكون له وظيفة (المدّعي) ولا مُخاطَب من غير أن تكون له وظيفة (المعترض)»[3]. إذن فالحجاج يأخذ عنده نفس الأبعاد الدّلاليّة للاستدلال.

وعلى هذا الأساس فإنّ الحجاج «جنس خاص من الخطاب، يُبْنَى على قضيّة أو فرضيّة خلافيّة يعرض فيها المتكلّم دعواه مدعومة بالتّبريرات، عبر سلسلة من الأقوال المترابطة ترابطا منطقيّا قاصدًا إلى إقناع الآخر بصدق دعواه والتّأثير في موقفه أو سلوكه تُجَاهَ تلك القضيّة».[4]

ومن ناحية أخرى يرى كلّ من بيرلمان وتيتيكا (Perelman et Tyteca) أنّ الحجاج: «جملة من الأساليب تضطلع في الخطاب بوظيفة هي حمل المتلقّي على الاقتناع بما نعرضه عليه أو

[1]- عبد العالي قادا، بلاغة الاقناع، -دراسة نظرية وتطبيقية-، دار كنوز المعرفة، عمان، ط1، 2016م، ص 12.

[2]- طه عبد الرحمان، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1998م، ص 226.

[3]- المرجع نفسه، ص 226.

[4]- محمد العبد، النص الحجاجي العربي، مجلة جذور، ع21، مج9، ج1، سبتمبر2005، ص 243.

الزّيادة في حجم هذا الاقتناع معتبرا أنّ غاية الحجاج الأساسيّة إنمّا هي الفعل في المتلقّي على نحو يدفعه إلى العمل أو يهيّئه للقيام بالعمل».[1]

فهنا يركّز على أنّ الإقناع هو الوظيفة الأساسيّة للحجاج، وهذا الأخير هو الذي يجعل المتكلّم سامعه يقوم بالعمل المطلوب منه أو يذعن لرأيه.

ومن جهة أخرى يرتبط الحجاج باللّغة، وذلك من خلال ما جاء به أوزفالد ديكرو(Ducrot)وجان كلود أنسكومبر(J-Anscombre) فيما يسمّى بالحجاج اللّساني الذي سنعرض له فيما بعد فالحجاج عندهما نشاط تلفّظي يندرج ضمن بنية اللّغة.

والملاحظ من المفاهيم السّابقة للحجاج أنّه مصطلح متعدّد الآراء فهو مرتبط بمختلف المعارف والمجالات، ممّا جعل الحديث عن مفهوم دقيق وواضح للحجاج أمرًا غاية في الصّعوبة فهو متشابك ومتداخل وملتبس، ويرجع الباحث حبيب أعراب عوامل هذا الالتباس إلى:

– تعدّد مظاهر الحجاج وتنوّعها (الحجاج الصّريح والحجاج الضّمني).

– تعدّد استعمالات الحجاج وتباين مرجعيّاتها: الخطابة، الخطاب القضاء، الفلسفة، المنطق، التّعليم ...الخ.

– خضوع الحجاج في دلالته لما يميّز ألفاظ اللّغة الطبيعيّة من رخوة وليونة تداوليّة وكذلك من تأويلات متجدّدة وطواعيّة استعماليّة[2].

ثانيا: الحجاج في النظرية اللّغوية

1– مفهومه:

يتمثّل الحجاج في اللّغة فيما أورده ديكرو(O. Ducrot) في كتابه "الحجاج في اللّغة" الذي ألّفه هو وجان كلود أونسكومبر(J. Anscombre)، حيث تحدّث فيه عن حجاج مختلف يقوم

[1]– سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي بنيته وأساليبه، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط2، 2011م، ص 21.

[2]– حبيب أعراب، الحجاج والاستدلال الحجاجي "عناصر استقصاء نظري"، مجلة عالم الفكر، ع1، مج30، يوليو– سبتمبر 2001م، الكويت، ص 97، 98.

على اللّغة بالأساس بل يكمن فيها، وقد بيّن كل منهما أنّ «الحجاج باللّغة يجعل الأقوال تتابع وتترابط على نحو دقيق فتكون بعضها حججا تدعم وتثبت بعضها الآخر».[1] أي أن يقوم متكلّم ما بفعل الحجاج عندما يقدّم قولا (ق1) أو مجموعة أقوال يفضي إلى التّسليم بقول آخر (ق2) أو مجموعة أقوال أخرى[2]. فالمتكلّم إنّما يجعل قولا ما حجّة لقول آخر هو بلغة الحجاج "نتيجة" يروم إقناع المتلقّي بها وذلك على نحو صريح واضح أو بشكل ضمنيّ، بمعنى آخر أنّ المتكلّم قد يصرّح بالنّتيجة وقد يخفيها فيكون على المتلقّي استنتاجها لا من مضمون هذه الأقوال الإخباريّة بل اعتمادًا على بنيتها اللّغوية فحسب.[3]

واستنادًا على ما سبق فإنّ الحجاج اللّغوي يكون في بنية اللّغة ذاتها، أي أنّ المفردات أو الجمل تحمل في ذاتها دلالات وأهداف حجاجيّة ضمنيّة أو مصرّح بها «فموضوع الحجاج في اللّغة هو بيان ما يتضمّنه القول من قوّة حجاجيّة تمثّل مكوّنا أساسيّا لا ينفصل عن معناه، يجعل المتكلّم في اللّحظة التي يتكلّم فيها يوجّه قوله وجهة حجاجيّة ما».[4]

2- نظريته:

«هي نظريّة لسانيّة تهتمّ بالوسائل اللّغوية وبإمكانات اللّغات الطّبيعيّة التي يتوفّر عليها المتكلّم، وذلك بقصد توجيه خطابه وجهة ما، تمكّنه من تحقيق بعض الأهداف الحجاجيّة»[5]، أي «تحمل اللّغة في طيّاتها بصفة ذاتيّة وجوهريّة وظيفة حجاجيّة تتجلّى في بنية الأقوال ذاتها، صوتيّا وصرفيّا، وتركيبيّا ودلاليّا، ومن ثمّ تنتمي دراسة الحجاج إلى البحوث التي تسعى إلى اكتشاف منطق

[1]- سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي بنيته وأساليبه، ص 22، 23.

[2]- نعيمة يعمرانن، مقال "الحجاج اللغوي عند ديكرو وأنسكومبر"، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، منشور على الموقع: viewfile. artiche. dz.

[3]- سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي بنيته وأساليبه، ص 23.

[4]- محمد سالم محمد الأمين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة "بحث في بلاغة النقد المعاصر"، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2008م، ص 192.

[5]- أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، العمدة في الطبع، الدار البيضاء، ط1، 2006م، ص 14.

اللّغة، أي: القواعد الدّاخلية للخطاب، والمتحكّمة في تسلسل الأقوال وتتابعها بشكل متنامٍ وتدريجيّ وبعبارة أخرى، يتمثّل الحجاج في إنجاز تسلسلات استنتاجيّة داخل الخطاب».[1]

«وقد وضع اللّغوي الفرنسي أوزفالد ديكرو (O. Ducrot) أسس نظريّة الحجاج في اللّغة منذ بداية السّبعينيات، قبل أن ينظم إليه زميله أونسكومبر (J. Anscombre) ليشكّلا معًا من خلال أعمالهما تيّارًا تداوليّا متميّزًا انبثق من داخل نظريّة الأفعال اللّغوية التي وضع أسسها أوستن وسورل كما تأثّرا بأبحاث بنفينيست حول التلفّظ .... وحواريّة باختين، وتنطلق هذه النّظريّة من فكرة مفادها أنّنا نتكلّم عامّة بقصد التّأثير، وأنّ الوظيفة الأساسيّة للّغة هي الحجاج وأنّ المعنى ذو طبيعة حجاجيّة».[2]

وقد قام ديكرو بإضافة فعلين لغويّين هما فعل الاقتضاء وفعل الحجاج من خلال تطويره لأفكار وآراء أوستن، كما قام بإعادة تعريف مفهوم التّكليم أو الإنجاز (L'illocutoiré)، حيث يعرّفه بأنّه فعل لغويّ موجّه إلى إحداث تحويلات ذات طبيعة قانونيّة، أي مجموعة من الحقوق والواجبات ففعل الحجاج يفرض على المخاطِب نمطا معيّنا من النّتائج باعتباره الاتّجاه الوحيد الذي يمكن أن يسير فيه الحوار والقيمة الحجاجيّة لقول ما هي نوع من الإلزام يتعلّق بالطّريقة التي ينبغي أن يسلكها الخطاب بخصوص تناميه واستمراره.

إنّ الحجاج هو تقديم الحجج والأدلّة المؤدّية إلى نتيجة معيّنة، وهو يتمثّل في إنجاز تسلسلات استنتاجيّة داخل الخطاب، وبعبارة أخرى يتمثّل الحجاج في إنجاز متواليات من الأقوال بعضها هو بمثابة الحجج اللّغويّة وبعضها الآخر هو بمثابة النّتائج التي تستنتج منها.

إنّ كون اللّغة لها وظيفة حجاجيّة يعني أنّ التّسلسلات الخطابيّة محدّدة، لا بواسطة الوقائع (les faits) المعبّر عنها داخل الأقوال نفسها وبواسطة المواد اللّغويّة التي تم توظيفها وتشغيلها[3].

[1]- جميل حمداوي، نظريات الحجاج، ص 33، محمل على شبكة الألوكة على الموقع الالكتروني: www.alukah.net.

[2]- عبد العالي قادا، بلاغة الاقناع دراسة نظرية وتطبيقية، ص 177.

[3]- أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ص 15، 16، 17.

وفي هذا المقام يميّز ديكرو وأونسكومبر بين نوعين من الأفعال، فعل المحاجّة وفعل الاستدلال حيث إنّ هذا الأخير يكون من خلال وجود علاقة بين الحجّة (ق1) والنّتيجة (ق2) وأنّ هذه النّتيجة تستند إلى حدث معيّن في الكون، أمّا فعل المحاجّة فلا علاقة بين الحجّة (ق1) والنّتيجة (ق2) ومثال ذلك:

أ- مستواك في الدّراسة ضعيف (ق1)

ب-عليك أن تضاعف جهدك في المراجعة. (ق2)

ففي المثال السّابق نحن أمام فعل الاستدلال لأنّ النّتيجة (ق2) التي هي مضاعفة الجهد في المراجعة تستند إلى الحجّة (ق1) والتي هي تدنّي مستوى الدّراسة لدى هذا التّلميذ.

أمّا في المثال الثّاني:

أ- رغم أنّ هذا الحيوان خطير (ق1)

ب-فإنّ مظهره جميل (ق2)

ويمثّل هذا المثال فعل الحجاج، لأنّ هناك علاقة بين النّتيجة (ق2) والحجّة (ق1)

فهذان المثالان يوضّحان أنّ الحجاج والاستدلال ظاهرتان من مستويين مختلفين فأساس الاستدلال هو علاقة اعتقادات المتكلّم بحالة الأشياء، أي ترابط الأحداث والوقائع في الكون، أمّا الحجاج فهو موجود في الخطاب وفي الخطاب فحسب.[1]

«واستنادًا إلى هذا التّمييز بين عمل المحاجّة وعمل الاستدلال يكون الحجاج خاصّيّة لغويّة دلاليّة وليس ظاهرة مرتبطة بالاستعمال في المقام».[2]

ومعناه أنّ الحجاج يرتبط باللّغة فيبدأ منها وينتهي إليها ولا علاقة للظّواهر الخارجيّة السّياقيّة بهذا النوع للحجاج أي أنّ المتكلّم في ثنايا كلامه حجّة أو مجموعة من الحجج قد تكون هذه الأخيرة

[1]- نعيمة يعمرانن، مقال "الحجاج اللغوي عند ديكرو وأونسكومبر"، مرجع سابق، منشور على الموقع: viewfile. artiche. dz.

[2]- شكري المبخوت، الحجاج في اللغة ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية: من أرسطو إلى اليوم، إشراف حمادي صمود، جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية، تونس1، كلية الآداب منوبة، ص 362.

مدعّمة ببعض الأساليب أو الصّيغ وقد تكون خالية ذات تركيب مباشر إلاّ أنّها تدفع بالمستمع إلى قبول هاته الفكرة التي تَلَفَّظَ بها المحاجج.

وأهم مصادرات هذه النظريّة هو اعتبارها الحجاج فعلاً لسانيّاً بالأساس. ينهض على اللّغة وفيها عبر مجموعة من العلاقات التي توجّه القول أو الحجج وجهة معيّنة.

فالحجاج في نظر ديكرو و أونسكومبر لم يعد نشاطًا لسانيًّا من بين أنشطة أخرى، ولكنّه أساس المعنى نفسه، وأساس تأويله في الخطاب ولقد عمل كلّ منهما على بلورة المبادئ التي ينهض عليها الحجاج في اللّغة، وهي ثلاثة:

المبدأ الأوّل: الوظيفة الأساسيّة للّغة هي الحجاج.

المبدأ الثّاني: المكوّن الحجاجيّ أساسيّ والمكوّن الإخباريّ ثانويّ.

المبدأ الثالث: عدم الفصل بين الدّلاليات والتّداوليّات.

فالمبدأن الأوّل والثّاني يؤكّدان أنّ طاقة القول الحجاجيّة، وهي خلافًا لما ذهبت إليه "البلاغة الجديدة "طاقة مباطنة للقول نفسه وليست طارئة عليه".[1]

وفي هذا الصّدد يرى ديكرو:« أنّ تلك الوظيفة الحجاجيّة تتوفّر على خصائصها في بنية الجملة ذاتها، أو بعبارة أخرى: فإنّ القيمة الحجاجيّة ليست هي حصيلة المعلومات التي يقدّمها فحسب بل إنّ الجملة بإمكانها أن تشتمل على مورفيمات وتعابير و صيغ والتي بالإضافة إلى محتواها الإخباريّ فهي تصلح لإعطاء توجيه حجاجيّ للقول، وتوجيه المتلقّي في هذا الاتّجاه أو ذاك».[2]

«يقدّم المبدأ الثالث ما يمكن وصفه بصيغة تصالحيّة بين الدّلالة والتّداوليّة عبر مفهوم "التّداوليّة المدمجة"* التي تبحث في الجوانب التّداوليّة المسجّلة في بنية اللّغة ودلالة الجملة لاستخراج

[1]- محمد عبد الباسط عيد، في حجاج النص الشعري، إفريقيا الشرق، المغرب، (د. ط)، 2013م، ص 22.

[2]- حبيب أعراب، الحجاج والاستدلال الحجاجي، مجلة عالم الفكر، ص 105.

*- نظرية دلالية تدمج في الشفرة اللغوية (اللسان بالمعنى السوسيري 1968م) مظاهر عملية القول، القاموسي الموسوعي للتداولية جاك موشلار وآن ريبول، تر: مجموعة من الأساتذة والباحثين بإشراف عز الدين المجدوب، دار سيناترا، المركز الوطني، تونس، 2010م، ص 83.

الأشكال اللّغوية ذات القيمة التّداوليّة (لا القيمة الوصفيّة التّمثيليّة أي ما يعبّر عن حالة الأشياء في الكون) لضبط شروط استعمالها».[1]

ومنه «فإنّ نظريّة الحجاج في اللّغة تتعارض مع كثير من النّظريّات والتّصورات الحجاجيّة الكلاسيكيّة التي تعدّ الحجاج منتميا إلى البلاغة الكلاسيكيّة (أرسطو).

والبلاغة الحديثة (بيرلمان، أولبريخت تيتيكا، ميشال مايير ....) أو منتميا إلى المنطق الطبيعيّ (جان غريز ....)».[2]

«ومن المهمّ الإشارة إلى مفهوم أساسي في نظريّة ديكرو الحجاجيّة وهو التّوجيه (L'orientation) إذ اعتبر أنّ غاية الخطاب الحجاجيّ تتمثّل في أن تفرض على المخاطِب نمطا من النتائج باعتبارها الوجهة الوحيدة التي يمكن للمخاطَب أن يسير فيه».[3]

وعليه فالحجاج في النّظريّة اللّسانيّة يقوم على اللّغة ذاتها وهذه الأخيرة تحمل بطبيعتها وظيفة تأثيريّة حجاجيّة تتمثّل في التّوجيه (L'orientation) إلاّ أنّه "أهمّ مأخذ قد يعيب هذه النظرية حسبما صرح به عبد الله صولة في كتابه "الحجاج في القرآن" هو حصر صاحبيها –ديكرو وأونسكومبر– دلالة الملفوظ في التّوجيه، وبرأيه أنّ دلالة الكلام (وحتّى الكلمة) ليست التّوجيه فحسب، وإنّما التّوجيه جزء من دلالة ذلك الكلام وبعض منها، فقد يكون لهذا الكلام بحسب المواقف التأويلية التي نقفها منه، دلالات تتجاوز الحجاج والتّوجيه وتفيض عنهما ويسمّى ذلك الجزء من دلالة الكلام (أو الكلمة) "الدّلالة الحجاجيّة" أو "المعنى الحجاجيّ" أو "الطاقة الحجاجيّة" أو "العمل الحجاجيّ" أو "الوقع الحجاجيّ" أو "الوظيفة الحجاجيّة". وإن اختلفت ربّما معاني هذه التّسميات.[4]

---

[1]– محمد عبد الباسط عيد، في حجاج النص الشعري، ص 23.

[2]– جليلة بنت سعيد بن سليم القاسيمية، البعد الحجاجي في الأعمدة الأدبية(مجلة دبي الثقافية نموذجا)، رسالة ماجستير في اللغة العربية وآدابها، عمان، جامعة نزوى، 2016م، ص 40.

[3]– سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي بنيته وأساليبه، ص 23.

[4]– عبد الله صولة، الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، دار الفارابي، بيروت، لبنان، ط2، 2007م، ص 36.

3- منهج البحث فيه:

إنّ النّاظر في هذا النّوع من الحجاج يرى أنّه يحدّد الكيفيّة أو العمليّة التي يكون فيها الخطاب متسلسل ومترابط بشكل تدريجيّ تمنهجه مجموعة من الآليات والوسائل اللّغويّة التي تعمل على تقوية التّوجيه للوصول إلى النّتيجة وتحقيق الغاية الحجاجيّة «إذ تعتمد منهجيّة ديكرو على وصف الشّواهد اللّغويّة أو النّصّيّة في ضوء رؤية لغويّة حجاجيّة تركيبًا ودلالةً وتداولاً، من خلال التّركيز على مجموعة من المفاهيم الإجرائيّة، مثل: الرّوابط الحجاجيّة والعوامل الحجاجيّة، والمبادئ والعلاقات الحجاجيّة والسّلم الحجاجيّ، والقوّة الحجاجيّة ....».[1]

«وتتّسم العلاقات الحجاجيّة باعتمادها الأساسيّ على عنصرين اثنين هما: التّرابط والتّراتب، والمقصود بالتّرابط وجود روابط حجاجيّة وقد تتعدّد هذه الرّوابط حسب المقامات والمقاصد كما تتعدّد في اللّغة الواحدة حسب الأشكال اللّغويّة المتاحة فيها»[2]، فاللّغة العربيّة مثلا تشتمل على عدد كبير من الرّوابط والعوامل الحجاجيّة التي لا يمكن تعريفها إلّا بالإحالة على قيمتها الحجاجيّة ومن هذه الأدوات: (لكن، بل، إذن، حتّى، لاسيما، إذ، لأنّ، بما أنّ، مع ذلك، ربّما، تقريبا، إنّما، ما ...إلخ).[3]

لقد اقترح ديكرو وصفا حجاجيّا جديدا للرّوابط والأدوات باعتباره بديلاً للوصف التّقليدي فإذا كان هذا الأخير يصف الأداة "Puisque" بأنّها تشير إلى أنّ "ب" يستلزم "أ" فقط، ويصف "Mais" بأنّها تشير إلى التّعارض القائم بين القضايا التي تربط بينهما، فإنّ الوصف الحجاجيّ لهذين الرّابطين هو كالتّالي: يسلّم المخاطَب بـ "ب" وبالإحالة على استلزام "ب" لـ "أ"، فإنّ عليه أن يقبل "أ" وبالنّسبة لـ لكن/ "Mais" تميل إلى أن نستنتج من "أ" نتيجة ما لا ينبغي القيام بذلك لأنّ "ب" وهي صحيحة مثل "أ"تقترح النّتيجة المضادّة، أمّا بالنّسبة لـ "حتّى" "Même" فليس دورها منحصرًا في أن تضيف إلى المعلومة (جاء زيد) في القول (حتّى زيد جاء) معلومة أخرى مجيء زيد غير

---

[1]- جميل حمداوي، من الحجاج إلى البلاغة الجديدة، أفريقيا الشرق، المغرب، (د. ط)، 2014م، ص 42، 43.

[2]- محمود طلحة، القيمة الحجاجية لأسلوب القصر في اللغة العربية، مجلة الخطاب، ع3، 1 مايو 2008م، المغرب، ص 107.

[3]- أبو بكر العزاوي، الحجاج والمعنى الحجاجي ضمن كتاب التحاجج طبيعته مجالاته وظائفه وضوابطه، تنسيق حمو النقاري، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط1، 2006م، ص 63.

متوقّع بل إنّ دور هذا الرّابط يتمثّل في إدراج حجّة جديدة أقوى من الحجّة المذكورة قبله، والحجّتان تخدمان نتيجة واحدة لكن بدرجات متفاوتة من حيث القوّة الحجاجيّة.

فالرّوابط الحجاجيّة تربط بين قولين أو بين حجّتين على الأصحّ (أو الأكثر) وتسند لكل قول دورًا محدّدًا داخل الاستراتيجيّة الحجاجيّة العامّة، ويمكن التّمثيل للرّوابط بالأدوات التّالية: بل، لكن حتّى، لاسيما، إذن، لأنّ، بما أنّ، إذ ...الخ.

أمّا العوامل الحجاجيّة فهي لا تربط بين متغيرات حجاجيّة (أي بين حجّة ونتيجة أو بين مجموعة حجج)، ولكنّها تقوم بحصر وتقييد الإمكانات الحجاجيّة التي تكون لقول ما وتضمّ مقولة العوامل أدوات من قبيل: ربّما، تقريبا، كاد، قليلا، كثيرا، ما .... إلاّ، وجُلُّ أدوات القصر.

وقد أدرج ديكرو مفهوم العامل الحجاجيّ لأول مرّة في مقاله المعنون بـ: "Notesur l'argumentationet l'acte d'argumenter" المنشور سنة 1982م، ثم فصّل فيه القول بعد ذلك في مقاله المنشور سنة 1983م، والذي يحمل عنوان[1]: "Opérateurs argumentatifs et visée argumentative" ونورد المثال التّالي لتوضيح العامل الحجاجيّ:

ق1: هذا مَلَكٌ.

ق2: "إن هذا إلاّ مَلَكٌ كريم".

إنّ الملفوظ الأوّل (ق1) كما هو بيّنٌ خال من كلَّ عامل حجاجيّ ومن كل صرفم تصدق عليه وظيفة العامل الحجاجيّ فهو قائم على الإثبات المحض الذي لا يتجاوز طاقته الإخباريّة الإبلاغيّة مداها الإعلامي التوصيلي الصرف فهو الدرجة الصفر للخطاب حيث إنّ الباث لا يروم من ملفوظه سوى إعلام المتقبّل بأنّ المشار إليه "مَلَكٌ" والطريق في الأمر أنّ هذا الإبلاغ له استلزامات عديدة فمادام من الملائكة فهو يحتوي على صفات "الملائكيّة" كأن نقول هو تقيّ نقيّ، مفارق، شريف، لا يرتكب الكبائر، وما قلنا هذا إلاّ لاعتبار أنّ اللّغة بجميع مستوياتها تقوم على الحجاج حتى أنّ

[1]- أ بو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ص 26، 27، 28.

ديكرو يعتبر أنّ الحجاج في الملفوظ بأكمله يعود لطاقة المفردة الحجاجيّة بما تحمله من استلزامات واقتضاءات ومعان حافّة، أمّا الملفوظ الثاني (ق2) وهو أرقى حجاجيا فإنّ الباث فيه قد استعان بعاملية الحصر لشدّ من أزر الملفوظ وتحديد النّتيجة المقصودة منه وبالتّالي يكون الجمهور أمام نتيجة واحدة أو استلزام واحد يقتضيه الملفوظ ويروم الباثّ تسليم الجمهور به، والعاملان الحجاجيان اللذان هما الصّفة والحصر في ملفوظنا يضيّقان من تعدّد النّتائج المستفادة من الملفوظ بل إنّهما يضربان صفحًا عن الطّاقة الإبلاغيّة ويجعلان المتقبّل مباشرة في مواجهة حجاجيّة وأمام نتيجة واحدة.

إنّ للعامل "إن ..... إلّا" إذن طاقة توجيهيّة نحو المفهوم أو النتيجة وما التّوجيه إلّا حركة قصيرة يسيرة يقطعها جهاز التقبّل لدى الجمهور للوصول إلى الاستلزام المطلوب ضاربًا عرض الحائط بكلّ الاستلزامات الأخرى التي قد تصلح للملفوظ فقولنا: "إن هذا إلّا مَلَكٌ كريم" موجّه نحو كونه ليس بشرًا.[1]

أمّا إذا عدنا إلى الرّابط الحجاجيّ (حروف العطف، الظّروف ....) نجده يربط بين وحدتين دلاليتيّن (أو أكثر)، في إطار استراتيجيّة حجاجيّة واحدة، وهذا في إطار الصّيغة الجديدة للنظريّة الحجاجيّة خلافا للتصوّر السّابق الذي تمّ التّخلي عنه، لأنّ ظاهرة الرّبط بين قولين، وقد يربط بين عناصر غير متجانسة كأن يربط مثلا بين قول وقوليّة أو بين قول وسلوك غير كلامي إلى غير ذلك من الحالات الممكنة، فإذا أخذنا المثال التّالي:

زيد مجتهد إذن سينجح في الامتحان.

فسنجد أنّه يشتمل على حجّة هي (زيد مجتهد) ونتيجة مستنتجة منها (سينجح) وهناك الرّابط (إذن) الذي يربط بينهما.

ونميز بين أنماط عديدة من الرّوابط:

أ- الرّوابط المدرجة للحجج (حتّى، بل، لكن، مع ذلك، لأنّ ....) والرّوابط للنّتائج (إذن، لهذا وبالتّالي ...).

[1]- عز الدين الناجح، العوامل الحجاجية في اللغة العربية، مكتبة علاء الدين للنشر والتوزيع، صفاقس، تونس، ط1، 2011م، ص 63، 64، 65.

ب-روابط التّعارض الحجاجيّ (بل، لكن، مع ذلك .....) وروابط التّساوق الحجاجيّ (حتّى، لاسيما ....).[1]

أمّا التّراتب فهو خاصّيّة تابعة لخاصّيته العرفيّة التي تميّز المؤسّسة اللّغويّة إذ تستعمل في الملفوظات الحجاجيّة بعض التّعابير والكلمات الدّالة على القوّة أو الضّعف في الحجج والتي يمكننا ترتيب هذه الملفوظات حسبها، وتدخل عند ديكرو تحت مسمّى "السّلم الحجاجيّ" (L'échelleargumentative)[2] ويعرّفه بأنّه: «فئة حجاجيّة موجّهة أو نظام ترتيب للحجج وينصّ على أنّ:

أ- كل قول يرد في درجة ما من السّلم يكون القول الذي يعلوه دليلا أقوى منه بالنّسبة إلى النّتيجة.

ب-إذا كان القول (ب) يؤدي إلى النّتيجة (ن)، فهذا يستلزم أنّ (ج) أو (د) الذي يعلوه درجة يؤدّي إلى النّتيجة نفسها. والعكس غير صحيح (علما أن أ- ب- ج- د، حجج) وبالتّالي يصبح السّلم عبارة عن مجموعة غير فارغة من الأقوال تكون مزوّدة بعلاقة تراتبيّة وتحكمه مجموعة من القوانين الدّاخليّة».[3]

وقد ذكر طه عبد الرّحمان أهمّ هذه القوانين في كتابه "في أصول الحوار وتجديد الكلام" وهي:

-قانون الخفض: إذا صدق القول في مراتب معيّنة من السّلم، فإنّ نقيضه يصدق في المراتب التي تقع تحتها.

-قانون تبديل السّلم: إذا كان القول دليلا على مدلول معين، فإنّ نقيض هذا القول دليل على نقيض مدلوله.

-قانون القلب: إذا كان أحد القولين أقوى من الآخر في التّدليل على نقيض المدلول[4].

[1]- أبو بكر العزاوي، الحجاج والمعنى الحجاجي، ضمن كتاب التحاجج طبيعته مجالاته وظائفه وضوابطه، تنسيق حمو النقاري، ص 65، 66.

[2]- محمود طلحة، القيمة الحجاجية لأسلوب القصر في اللغة العربية، مجلة الخطاب، ص 108.

[3]- بوزناشة نور الدين، الحجاج في الدرس اللغوي الغربي، مجلة العلوم الإنسانية، السنة السابعة، ع 44، 2010م، ص 19.

[4]- طه عبد الرحمان، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 2000م، ص 105، 106.

ويحتوي السّلم الحجاجيّ على عنصر مركز وهو القسم الحجاجيّ ويعرّفه ديكرو: إنّ المتكلم في وضعية خطاب محدّدة يمكن أن يضع ملفوظين في قسم حجاجيّ واحد يفضي إلى نتيجة "ن" والمفهوم من كلام ديكرو هذا أن القسم الحجاجي هو مجموعة الملافيظ أو الأقوال التي تأخذ محل (ق1) في المعادلة الحجاجيّة وتقود هذه المجموعة من الحجج إلى نتيجة واحدة تثبتها وتؤكّدها، فلنتيجة مثل: "اشرب القهوة" يمكن أن نضع السّلم التالي:

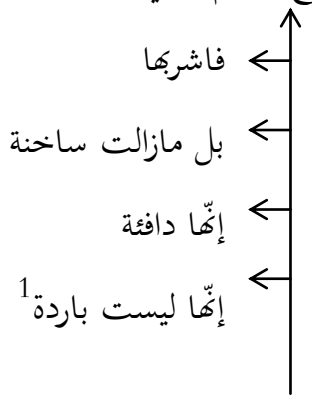

تدخل المبادئ الحجاجيّة أو المواضع من المسلّمات التي تؤدّي إلى التّسليم بالقول والاقتناع به حيث يعتبر كلّ من ديكرو وأونسكومبر أنّ الانتقال من الحجّة إلى النّتيجة أو العلاقة الحجاجيّة تتطلّب وجود موضع أو مواضع وهي عبارة عن مبادئ أو قواعد عامّة أو أفكار مشتركة ومقبولة لدى جمهور واسع وهي تقابل مسلّمات الإنتاج المنطقي في المنطق الصّوري والرّياضي.

وتمتاز هذه المواضع بمجموعة من الخصائص:

- أنّها مجموعة من المعتقدات والأفكار المشتركة بين الأفراد داخل مجموعة بشريّة معيّنة.
- العموميّة: فهي تصلح لعدد كبير من السّياقات المختلفة والمتنوّعة.
- التّدرّجيّة: أنّها تقيم علاقة بين محمولين متدرّجين أو بين مكوّنات السّلم الحجاجي.
- النّسبية: فإلى جانب السّياقات التي تتمّ فيها تشغيل مبدأ حجاجيّ هناك إمكان إبطاله ورفض تطبيقه باعتباره غير وارد وغير ملائم للسّياق المقصود أو يتمّ إبطاله باعتماد مبدأ حجاجيّ.[2]

[1]- عز الدين الناجح، العوامل الحجاجية في اللغة العربية، ص 130.

[2]- عبد العالي قادا، بلاغة الاقناع في المناظرة، ص 182.

إنّ منهج البحث في الحجاج اللّغوي يقوم على مجموعة من الرّوابط والعوامل التي تربط بين الجمل في سياقات تركيبيّة مختلفة إذ تجعل من الكلام أو الجملة ذات شحنة إقناعيّة، كما تقوم السّلالم الحجاجيّة على ترتيب الحجج، فالمتكلّم عندما يوجّه رسالة ما، يبدأ مثلا من الحجّة الأقوى وصولاً إلى الأضعف تدريجيّا أو العكس تعمل هذه التّراتبيّة السّلميّة بديهيّا في التّأثير والإفهام فالمتلقّي للرّسالة يسلّم بكلّ سهولة بتلك الفكرة لأنّها مسترسلة ومترابطة في بنيتها.

الفصل الأول: الحجاج في القرآن الكريم

أولا: الحجاج اللّغوي القرآني

مفهومه ومنهج البحث فيه

ثانيا: قصار السور

تعريفها وخصائصها الفنّيّة والموضوعيّة

حجاجيّة قصار السور الفنّيّة

تمهيد:

إنّ اللّغة ليست مجرد أداة للتعبير فقط، وإنّما هي حقيقة حجاجيّة، فهذا ما يؤكد المنطق الذي بنيت عليه لغة القرآن، وهذا الأخير دستور للنّاس وأيضا النور المبين الذي نجد من خلاله حلاً لمشكلات المختصمين، وهو الهداية للسائرين في طريق الغواية، والمنحرفين عن سبيل الجادّة، فكان حجة بيَّنة في سوره وآياته وأساليبه وتراكيبه فكان ذا منهج في طرح قضاياه، إذ يتبين منهجه في هذا الفصل من خلال الجوانب اللّغوية بالإضافة إلى التعريف بقصار السور ومعرفة خصائصها التي تظفر بها وأساليبها البليغة.

أولا: الحجاج اللّغوي القرآني

1- مفهومه:

قبل الولوج في مفهوم الحجاج اللّغوي القرآني نتطرّق أوّلا إلى بعض خصائص الخطاب الحجاجيّ، إذ يتميّز هذا الأخير بخصائص بنائيّة تواصليّة، ممّا تجعله مختلفا عن غيره من الخطابات الأخرى (كالسّرديّة والحكائيّة، والإخباريّة) كما أنّ طريقة بنائه وأسلوب استدلاله وخضوعه لشروط القول والتّلقّي، كلّها تؤكّد ذلك التّميّز، بالإضافة إلى انتماء الخطاب الحجاجيّ إلى المجال التّداوليّ الذي يضع من أوّليّاته الإجابة عن مجموعة من الأسئلة أهمّها: من يتكلّم؟ وإلى من يوجّه خطابه؟ ماذا يقصد من كلامه هذا؟ وهذه الأسئلة وغيرها تتطلّب الإجابة عنها استحضارًا جيّدًا لمقاصد المتكلّم ومن الأفعال الكلاميّة وأبعادها السّياقية والتّداوليّة وخاصّة الحجاجيّة، فيمكن توضيح ذلك في الخطاطة التالية:

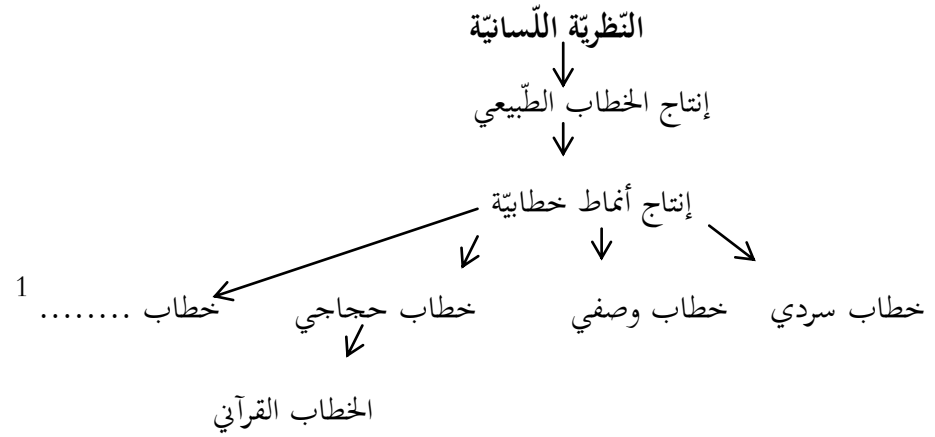

فالخطاب القرآني خطاب حجاجيّ[2]، ومنه الحجاج القرآني هو «الحوار الذي يراد به الإبانة والإبلاغ والإقناع، وذلك باستخدام الدّلائل العقليّة والعلميّة واللّغويّة والفطريّة والواقعيّة، والبنيات

[1]- بوسلاح فايزة، السلالم الحجاجية في القصص القرآني –مقاربة تداولية–، أطروحة دكتوراه في اللسانيات، جامعة أحمد بن بلة، وهران1، 2015/2014م، ص 28.

[2]- المرجع نفسه، ص 28.

القرآنيّة والكونيّة في الأنفس والآفاق إثباتًا لحقيقة الإسلام والإيمان بالله ولقائه ورسله وجزائه، وقضايا الآخرة بعثا وحشرًا ونشرًا وعرضًا وحسابًا ومصيرًا».[1]

وقد أشار الدّكتور عبد الله صولة إلى مفهوم الحجاج اللّغوي القرآني من خلال كتابه "الحجاج في القرآن" حيث يقول: توافر في القرآن من المعطيات ما جعله خطابا حجاجيّا، وما جعل الحجاج يصيب كثيرًا من العناصر اللّغويّة فيه مثل الكلمات والتّراكيب والصّور، وهي تتكرّر فيه تكرارًا جعل منها خصائص أسلوبه المميّزة .....، إنّنا ننطلق من فكرة بديهيّة جدّا وهي أنّ القرآن خطاب وكونه خطابا يقتضي أنه إقناع وتأثير فقد حدّد بنفنيست الخطاب بقوله: «الخطاب في أعمّ مفاهيمه كل قول يفترض متكلمًا وسامعً مع توافر مقصد التأثير بوجه من الوجوه في هذا السّامع» وبإضافة هذا التّعريف للخطاب يبيّن صولة المعطى البديهيّ الذي جعل من القرآن خطابا حجاجيّا ذلك أنّ الخطاب يقوم على متكلّم وسامع وكلام موجّه يحمل بعدا إقناعيًّا وتأثيريًّا في المتلقّي، والقرآن يتكوّن من هذه العمليّة الخطابيّة الحجاجيّة، وممّا يثبت هذا كثرة مخاطباته حتى جعلت معرفة هذه المخاطبات في القرآن علمًا من علومه. والمخاطبون فيه، نوعان على الأقلّ:

– نوع يدخل داخل النّص القرآنيّ وهذا بدوره قسمان: قسم مذكور معيّن باسمه أو لقبه أو بضمير الخطاب الذي يعيّنه شأن خطاب رسول الله –صلّ الله عليه وسلّم – وخطاب الكافرين في نحو قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ...﴾[2] وخطاب الذين آمنوا وهو كثير فهؤلاء هم المتلقّون الأوّلون أو السّامعون الأوّلون، ويمثّلون ما يمكن أن يسمّى في اصطلاح الحجاج الجمهور الخاص أو الضّيّق وقسم مذكور في القرآن، لكنّه غير معيّن ولا محدّد...

[1]– مفلاح بن عبد الله، آليات الحجاج في الخطاب القرآني –الاستفهام نموذجا–، المركز الجامعي غليزان، منشور على الموقع: www.ahlalhdeeth.com، ص 5.

[2]– سورة الكافرون، الآية: 1.

– أما النّوع الآخر من المخاطَبين فواقع خارج النّصّ القرآني غير مذكور فيه، ولكنّه مع ذلك معنيّ بخطاب القرآن، وهو جمهور السامّعين والمتلقّين على اختلاف عصورهم وأمكنتهم. إنّه بعبارة الحجاجيّين الجمهور الكونيّ.

والقرآن فضلا عن كونه خطابًا موجّهًا إلى متلقٍّ فعليّ أو محتمل، مسرّح عليه تتحاور الذّوات وتتجادل ويحاجّ بعضها بعضا»[1]، فالقرآن يقدّم نفسه على أنّه تغيير لوضع وحلّ لمعضلة ونبذ العنف الذي هو عكس الحجاج واستجابة لسؤال أمّة وكلّها وجوه ذات علاقة بالحجاج .... ، فهو يرمي إلى تغيير وضع ذهنيّ يترتّب عليه ضرورة تغيير وضع مادّي في آيات من قبيل: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[2]، ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾[3] وسواء أفادت لعلّ في الآيتين المذكورتين (وفي القرآن عامة) التّرجي أو التّوقع أو الإطماع أو التّعليل أو غيره فهي في كلّ الحالات تعني –من النّاحية الحجاجيّة– تعليقا لشيء وارد في (ق2) وهو العقل والذّكر والتّقوى بشيء وارد في (ق1) وهو القرآن تنزيله وضرب الأمثال فيه.

وعلى هذا يكون القرآن كتاب "إصلاح" بمعنى أنّه يرمي إلى تغيير وضع قائم. فإذا كان ذلك كذلك كان القرآن حجاجًا لا مراء.[4]

– نتبيّن ممّا سبق أنّ القرآن على اختلاف أصناف مخاطَبيه يحمل رسالة حجاجيّة مفادها إثبات وحدانية الله تعالى، إذ يقوم الخطاب القرآني على مجموعة من الأدوات التركيبيّة والصّور البلاغيّة والمفردات البليغة ذات الوظيفة الحجاجيّة، بمعنى أن الحجاج اللّغوي القرآني حجاج لساني بالدّرجة الأولى؛ حيث تعمل هذه الآليات والوسائل الموجودة في بنية اللّغة ذاتها على تقوية الحجج وتوجيهها نحو نتيجة واحدة وهي وحدانية الله.

---

[1]– ينظر: عبد الله صولة، الحجاج في القرآن، ص 40، 41، 42.

[2]– سورة يوسف، الآية: 2.

[3]– سورة الزمر، الآية: 27.

[4]– ينظر: عبد الله صولة، الحجاج في القرآن، ص 43.

2- منهج البحث فيه:

يعتمد منهج البحث في الحجاج اللّغوي القرآني على ثلاثة مستويات حسب رأي عبد الله صولة، ذلك أنّ القرآن له خصائص لغويّة وأسلوبيّة في مستوى المعجم، فله معجمه القولي الخاص وداخل هذا المعجم كلمات ومفردات لها أبعاد حجاجيّة، و يحتوي القرآن أيضا في مستوى التّركيب على تراكيب متنوّعة ومختلفة لكنّها مهما اختلفت لها طاقة حجاجيّة، إضافة إلى الصّورة في القرآن «ففيه صور فنّيّة تُرَدّ إلى وظيفة واحدة وهي الوظيفة الحجاجيّة على اختلاف موادها وطرائق بنائها».[1]

فالباحث في دراسته للنّصّ القرآني من خلال خصائصه اللّسانيّة التي تقوم على الوظيفة الحجاجيّة يجد صعوبة في تحديد معاني القرآن تحديدًا حجاجيًّا على اعتبار أنّ هذه الأخيرة كلّها حجاجيّة، كذلك صعوبة في كيفيّة توجيه معاني القرآن توجيها حجاجيًّا. وعليه فالمنطلقات الأولى التي تضطلع بمعرفة المعاني والأساليب الحجاجيّة في القرآن هي معرفة أسباب نزوله وكذلك المحكم والمتشابه فيه وكذلك النّاسخ والمنسوخ والمقدّم والمؤخّر والوجوه والنّظائر والحقيقة والمجاز والاطناب والإيجاز والمكّيّ والمدنيّ وفيه الغريب والمبهم والموهم اختلافًا وتناقضًا، إلى غير ذلك من الظّواهر التي عدّت عماد إعجازه وجماع علومه، وهو فوق ذلك قد أُنْزِل على أكثر من حرف وبالاعتماد أيضا على كتب علوم القرآن العامّة منها والخاصّة.[2]

ويعتبر كتاب صولة المنهج الأنسب في هذا الصّدد حيث تعرّض لمستويات ثلاث من شأنها أن تحدّد منهج البحث في الحجاج اللّغوي القرآني وهذه المستويات هي:

أ- مستوى المعجم القرآني:

ويقصد بمعجم القرآن قائمة الكلمات المستخدمة فيه من أسماء مثل: (الكتاب، هدى، النور بنو إسرائيل، الظلم، الحق، الإيمان ...الخ)، وصفات مثل: (الواحد، القهّار، الظلاّم الغاوون ...الخ)

[1]- ينظر: عبد الله صولة، الحجاج في القرآن، ص 49.

[2]- ينظر: المرجع نفسه، ص 46.

وأفعال بمختلف وجوه تصريفها مثل: (يدعون، أدعو، يصلّون، ينادون ...الخ) فالمراد بهذا المعجم هنا ليس المعجم الصّناعي وليس كذلك المعجم الذّهني، وإنّما هو مجمل السّجلاّت اللّغوية المحقّقة في الخطاب.

إذ تناول فيه –المعجم– خصائص كلماته وحركتها الحجاجيّة، وقُسِّم هذا المستوى إلى ثلاثة فصول؛ تطرّق في الفصل الأول إلى خصائص الكلمة الحجاجيّة؛ وهي على ثلاثة أضرب أوّلها: الخصائص الاقتضائيّة وتتمثّل هذه الأخيرة في معنى الكلمة المعجميّ وهو ما يقتضي البحث في مقتضى الكلمة القرآنيّة والتّدبّر في معناها المعجميّ بأقصى قدر ممكن، بمعنى أن نبحث عن الكلمة في الخطاب وما تقتضيه من دلالات معجميّة فمثلا في جملة (يرفض فلان أن ينام) تقتضي أنّه طلب إليه أن ينام وهو مقتضى ناجم رأسًا عن معنى يرفض، فالمقتضى وسيلة حجاج ناجعة.[1]

أما الضّرب الثّاني فهو الخصائص التّقويميّة وهذان الضّربان مأتاهما رافد اللّغة إذ هما للكلمة في أصل مادّتها المعجميّة. فالتّقويم في اصطلاح الفلاسفة تحديد قيمة الشّيء بإطلاق حكم قيميّ (Jugement et voleur) عليه يرفعه أو يحطّه بالنّسبة إلى معايير أو مبادئ كونيّة قوامها العقل أو التّواضع الاجتماعيّ أو ذاتيّة عاطفيّة خاصّة، وعند علماء اللّسان ضربان من التّقويم: تقويم غير أخلاقيّ يتعلّق بالمقادير مثل: كثير/ قليل، والأحجام مثل: كبير/ صغير، والمسافات مثل: بعيد/ قريب ودرجات الحرارة مثل: حارّ/ بارد وغير ذلك. وتقويم هو أخلاقيّ لكونه إلقاء بحكم قيميّ وأخلاقيّ على الأشياء مثل: حسن/ قبيح، وقد اختزلت أوركيوني ضروب الكلمة من حيث موضوعيّتها وذاتيتها وأصناف هذه الذّاتية في الجدول التّالي: ويمكن تطبيقه على سائر الكلمات في اللّغة:

[1]- ينظر: المرجع السابق، ص 63، 64.

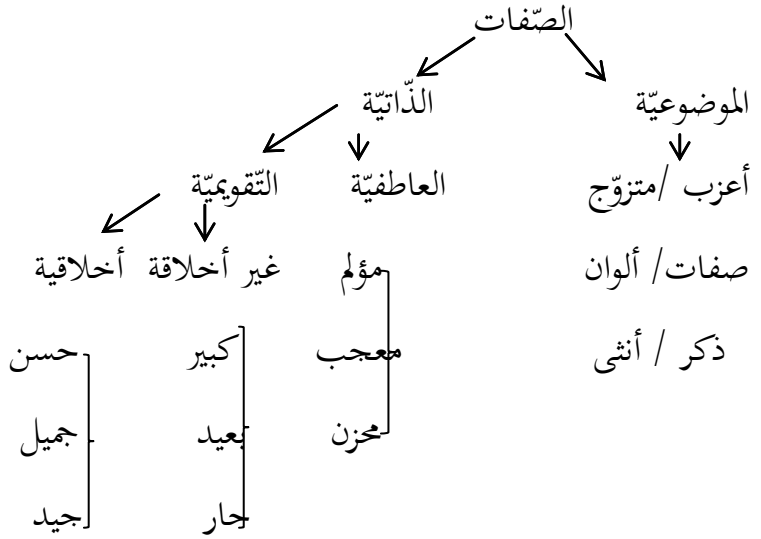

وهـذا التّقسـيم يمكـن أن يصـلح منطلقـا في دراسـة المعجـم القـرآنيّ حيـث إنّ الكلمـات ذات الطّابع التّقويميّ كثيرة جدًّا في القرآن فكلمتيْ (المؤمنون والكافرون) وهما من أكثر الكلمات جريانا فيه كلمتان تفيدان حكمًا تقويميّا (وهو تقويم أخلاقيّ تحديدًا) لإجرائهما "لقبا" لهاتين الفئتين، واللّقب حكم قيمة أخلاقي ضرورة فـ «هو ما أشعر بمدح أو ذمّ».[1]

والمفهوم من كلام صولة أنّ الكلمات الحاملة للجانب التّقويمي عديدة في القرآن منها الأفعال والأسماء والصّفات وما يتعلّق بكلّ منها، فقد أجرى إحصاء لهذه الكلمات ووجد أنّ التّقويم الأخلاقيّ هو الطّاغي على القرآن سواء كانت واضحة هذه الكلمات ذات البعد التّقويميّ الأخلاقيّ أو «تنتظم ضمنيّا على محور (حسن / قبيح) الأخلاقيّ، وتنطبق صفة (الحسن) على ما اشتقّ على سبيل المثال من مواد [ء م ن] و [ص ل ح] و [ص د ق] وغيرها فالأشخاص والأشياء والمفاهيم والأعمال والأقوال .... الموصوفة بهذه الصّفات، هي كلّها مستحسنة وتحمل ضمنيّا صفة (حسن) وتنطبق صفة القبيح على ما اشتقّ على سبيل المثال من مواد [ك ف ر]و[ف س د]و[ك ذ ب] وغيرها فالأشخاص و الأشياء .... الموصوفة بهذه الصّفات هي كلّها مستقبحة وتحمل ضمنيّا صفة «قبيح».

[1]- عبد الله صولة، الحجاج في القرآن، ص 131، 132.

إنّ هذا الفضاء الضّمني الذي يظهر فيه معنيا الاستحسان والاستقباح يمثّل بضمنيّته ذلك البعد الحجاجيّ لألفاظ ذات أحكام القيمة الأخلاقيّة في القرآن».[1]

يظهر من كلام صولة أن هذه الخصائص التّقويميّة من شأنها أن توجّه الكلمة أو المفردة القرآنيّة وجهة حجاجيّة وتمنحها خصّيصة إقناعيّة، إضافة إلى منحها تراتبيّة سلميّة من خلال المعنى الحسن أو القبيح وغيرهما من المعايير، إذ تجعل من الكلمة في المعجم القرآنيّ ذات قوّة تأثيريّة عن غيرها من الكلمات.

إنّ ما يضمن للمعجم القرآنيّ قوّته الحجاجيّة الملزمة أنّ الكلمات التي يتكوّن منها كثيرا ما تكون ذات خصائص اقتضائيّة وتقويميّة معًا.

ويبدو هذا على وجه الخصوص في أقسام ثلاثة من أقسام هذا المعجم:

القسم المتعلّق بأسماء الله الحسنى والقسم المتعلّق بأعداء الرّسالة المحمّديّة والقسم المتعلّق بمتّبعيها.

وأما الضّرب الثالث وهو خصائص الكلمة التّداوليّة وأبعادها الحجاجيّة فالبحث في البعد الحجاجي الذي تكتسبه الكلمة من رافد التّداول والاستعمال مبحث عسير على نحو ما، ومعقّد بوجه من الوجوه ؛ ومأتى ذلك أنّ الكلمة في الخطاب القرآنيّ استعملت قبل النّزول وجرت بها ألسن العرب في مخاطباتهم وأشعارهم وعليه فإنّ كلمات المعجم القرآنيّ كلمات نابضة بحياة مشحونة بتاريخ لها اجتماعيّ وأدبيّ ودينيّ وحضاريّ عام، ويتشكّل المعجم القرآني من ألفاظ عربيّة أساسًا وأخرى معرّبة وقد كان للقرآن طرائق مخصوصة في التّعامل مع الألفاظ ذات أبعاد حجاجيّة و إقناعيّة متنوّعة ومن الطرائق المستخدمة للألفاظ العربيّة الحفاظ على الكلمة نفسها مع إضافة معنى شرعيّ إلى معناها اللّغوي الذي كان لها في الاستعمال، والحفاظ على الكلمة بمعناها الدّيني الذي كان لها قبل نزول القرآن مع زيادة قيود شرعيّة، والحفاظ على الكلمة نفسها مع نقلها من مجال الحقيقة إلى المجاز والحفاظ على الكلمة مع نقلها من مجالها الدّيني الوثني عند العرب في الجاهليّة إلى مجال التّوحيد[2]، أمّا

[1]- المرجع نفسه، ص 148، 149، 150.

[2]- ينظر: عبد الله صولة، الحجاج في القرآن، ص 154- 158.

الطّرائق الأخرى للألفاظ المعرّبة فتتمثّل في الحفاظ على المعنى الذي للمعرّب ونقل بعض الكلمات المعرّبة من المجال الدّنيويّ المدنّس إلى المجال الدّينيّ المقدّس.

وهكذا نجد القرآن يبنى بواسطة معجمه غير المتداول على المتداول، والمجهول على المعلوم والجديد على القديم، فتحوَّل بذلك قيمة الكلمة التداوليّة إلى طاقة حجاجيّة.[1]

ونرى في هذا الضّرب –الخصائص التداوليّة– أنّ المعجم القرآني يقوم على المفردات المستعملة في الخطاب ومعرفة المجالات التي تستعمل فيها والوجوه التي ترد عليها فبمعرفة هذه الخصائص الاستعماليّة للكلمة يسهل معرفة القصد الحجاجيّ الذي ترمي إليه.

وإلى جانب هذه الخصائص تكلّم صولة عن حركة الكلمة الحجاجيّة والمقصود بهذه الأخيرة «مزاحمتها لغيرها من الكلمات اللاّتي هنّ من جدولها المعجمي (مرادفاتها مثلا إن صحّت مقولة التّرادف) أو هنّ من غير جدولها المعجمي لكنّها مجاورة لها بواسطة المجاز المرسل وعلاقة المشابهة».[2] من خلال عدول القرآن عن كلمة إلى كلمة أخرى واختياره لكلمة دون أخرى على أساس خصائصها التي لها في اللّغة مثل الاقتضاء والتّقويم خاصّة، وعلى أساس ما لتلك الكلمة من دلالة تداوليّة، وفي هذا الصّدد استخدم مفهومين أسلوبيين وهما العدول والاختيار كونهما الكفيلين برصد حركة الكلمة الحجاجيّة في القرآن ومن الأمثلة التي تبرز هذه الأخيرة :«العدول عن اسم العلم محمد صل الله عليه وسلم إلى الرسول أو النبي»[3]ذلك أنّ «اسم العلم أحجّ في مواطن في القرآن على الصّفة، وكذلك العدول عن الصّفة إلى الصّفة»[4] والأنماط الأخرى في العدول محاجّة بالسّبب ومن أمثلة ذلك قوله

[1]- ينظر: المرجع نفسه، ص 164- 166.

[2]- عبد الله صولة، الحجاج في القرآن، ص 169.

[3]- المرجع نفسه، ص 172- 175.

[4]- المرجع نفسه، ص 186.

تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾[1] ليدلّ على أنّ سبب ذلك الجزاء بالعقاب: هو الظّلم، وهو الشّرك.

وفيما يخصّ حركة الكلمة الحجاجيّة من خلال خصائصها في التّداول والاستعمال من ذلك «استخدام كلمة الرّحمان عوض الله ثمّ العكس، قال ابن عاشور في الوجه الذي من أجله جيء بـ "الرّحمان" في قوله حكاية عن إبراهيم في خطاب أبيه: ﴿يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا﴾[2] فقد قال: "... عبّر عن الجلالة بوصف الرّحمان للإشارة إلى أنّ حصول العذاب من شأنه أن يرحم إنّما يكون لفظاعة جرمه إلى حدّ أن يحرمه من رحمته من شأنه سعة الرّحمة"[3] وهو تقريب القول نفسه الذي أورده الزرّكشي في شأن الظّاهرة نفسها من الآية نفسها قال: "لم يخل هذا الكلام من حسن الأدب مع أبيه، حيث لم يصرّح فيه بأنّ العذاب لا حقّ له ولكنّه قال: "إنّي أخاف" فذكر الخوف والمسّ وذكر العذاب ونكره ولم يصفه بأنّه يقصد التّهويل، بل قصد استعطافه، ولهذا ذكر "الرّحمان" ولم يذكر "المنتقم" و "الجبّار""»[4]، فبالنّظر إلى السّياق اللّغوي الذي يحتضن الكلمة ومعرفة دلالتها عند العرب قبل نزول القرآن وأثناء نزولها كلّها من شأنها أن تجعلها تحلّ في مواضع عوض كلمات أخرى لتدبّر بعدها الحجاجيّ.

ب- مستوى التّركيب: خصائصه ووجوه الحجاج فيه:

والتّركيب أنواع؛ غير أنّ التّركيب المقصود هنا هو الإسنادي الذي تقوم عليه الجملة[5] «وأهم ما يميّز الكلام القرآني من ناحية التّركيب الجملة في ذاتها من ناحية والجملة مع أختها من ناحية

[1]- سورة الأعراف، الآية: 41.

[2]- سورة مريم، الآية: 45.

[3]- محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج16، ص 117 – 118.

[4]- بدر الدين الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة دار التراث، القاهرة، ط3، 1984م، ج3، ص 381.

[5]- ينظر: عبد الله صولة، الحجاج في القرآن، ص 237.

أخرى»[1] فالكلام القرآني قائما كلّه على العدول فهو إمّا إطناب أو إيجاز فالإطناب بالمصطلح الأسلوبيّ اللّسانيّ هو العدول الكمّيّ بالزّيادة حيث يكون بفعل الاستخدامات المختلفة للجملة المرتبطة بالمقامات وإذا أنقص منها —الجملة— بفعل المقام سمّي ذلك عدولاً كمّيّا بالنّقصان، ويكون هذا العدول بالزّيادة من خلال مظاهر التّوكيد المتواجدة في القرآن بمختلف أنواعه —التّوكيد— حيث يكون على صعيد الجملة الواحدة الدّاخل على الجملتين الفعليّة والاسميّة مثل: (قد والسّين وسوف ومثل إنّ و أنّ مع لام الابتداء ومثل القصر والقسم وغير ذلك، ومثل البدل والنّعت والعطف) ويحصل أيضا بين الجُمل، ويتمثّل فيما يُسمّيه القدماء التّكرار والبسط والتّتميم والاعتراض والتّذييل وغير ذلك. تدخل كلّها تحت تسمية واحدة وهي الإطناب، وأمّا العدول الكمّي بالنّقصان فيكون بمفهوم القدماء الإيجاز، وهو على نوعين؛ إيجاز بالحذف وإيجاز بالقصر[2]، وإلى جانب العدول الكمّي هناك عدول نوعيّ وهو العدول عن التّعبير بالخبر إلى التّعبير بالإنشاء وعكسه، وكذلك العدول عن التّعبير بالجملة الفعليّة إلى التّعبير بالجملة الاسميّة وغير ذلك[3] ...

وكلا النوعين من العدول لهما أبعاد حجاجيّة في القرآن الكريم، إذ تجعل عناصر التّوكيد الكلام ذا بُعد حواري تفاعلي إذا دَخَلَتْ عليه فهي دليل على وجود خصومة وتَنَاحُرْ وصراع، وتمثّل هذه العناصر التي تدخل على الجملة شارات حجاجيّة تستدعي الضّمني، وتفتح عليه، وتؤمي إلى النّتيجة وتدفع إلى استنتاجها.[4]

ج– مستوى الصّورة في القرآن: خصائصها ووجوه الحجاج فيها

فالصُّور الفنّيّة كثيرة في النّص القرآني، أمّا بالنّسبة لوظيفتها فهي للإقناع والتّأثير، ذلك أنّها تعويض لمعنى أو مفهوم وتصويرًا له وتقديمه تقديمًا حسّيّا وجعل المتلقّين يقتنعون من خلال الصّورة

[1]– عبد الله صولة، الحجاج في القرآن، ص 240.

[2]– ينظر: المرجع نفسه، ص 245، 246.

[3]– ينظر: المرجع نفسه، ص 249.

[4]– ينظر: المرجع نفسه، ص 269.

الحسّيّة[1]، وبرأي صولة أنّ الحجاج بواسطة الصّورة في القرآن مداره على مادّتها من ناحية، وشكلها من ناحية أخرى، والمقصود بمادّة الصّورة مضمونها الذي يعتمد فيه لغاية الإقناع، عالم الخطاب متلقيّه في الأول وعالم الخطاب مجمل كفاءات المتلقّين المعرفيّة والنّفسيّة والثّقافيّة والعقديّة التي يأتي مضمون الصّورة في القرآن مستندًا إليها مشكّلاً بها، معتمدًا عليها بطريقة يكون مضمون الصّورة هذا غير غريب عنهم فهو معلوم لديهم ولذلك يكون نفاذه إلى قلوبهم وإلى عقولهم في سهولة ويُسر ويحصل بما أريد إقناعهم به دون صعوبة أو عُسر، وشكل الصُّورة يعني به البناء الذي تتشكّل وفقه مادّة الصُّورة تلك تشكّلاً حجاجيًّا من شأنه أن يؤدّي إلى الإقناع، وأظهر ما يكون في الشّكل التّمثيلي والاستعاريّ والتّشبيهيّ والكنائيّ في المحاججة والاقتناع.[2]

عمد صولة في تحديده لمضمون الصّورة في القرآن، لكي تكون ذات بُعد حجاجيّ منهجيّة مُحدّدة وهي:

مادة الصّورة المنتزعة من المجال الحسّي[3]: ومن هذه المجالات المجال الزّراعي والتّجاري والحيوانيّ، والمجال الاجتماعيّ.

ومن الأمثلة الواردة في المجال الزّراعي قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾.[4]

[1]- ينظر: عبد الله صولة، الحجاج في القرآن، ص 482- 489.

[2]- المرجع نفسه، ص 496.

[3]- ينظر: المرجع نفسه، ص 503.

[4]- سورة يونس، الآية: 24.

«يكثر في القرآن ضرب الأمثال لحال الدّنيا في بهجتها وأنّها زائلة بصورة الماء يَنْزِلُ من السّماء، فتكون منه الخضرة والنّضرة والحياة ثم سرعان ما تزول تلك الخضرة وتلك الحياة».[1] وهو ما تجسّده الآية السّابقة، فكانت مُستمَدّة من مجال حسّي، فأخذها القرآن مادّة صورته.

«إنّ من وجوه الحجاج المهمّة في انتخاب القرآن مادّة لصوره تحتمل التّخصيص والتعميم صلاحيّة الصّورة فيه، لإقناع الجمهور الضّيق الذي هو جمهور متلقّيه الأوّلين ولإقناع الجمهور العام فأفضل حجاج ما صَلُحَ لهذا وذاك، وكذلك تَستمَدُّ الصّورة مادّتها من المقوّمات الثّقافيّة والرّمزيّة التي لفكر المتلقّين، والتي تُشبه إلى حدّ بعيد المواضع أو يمكن أن تتحوّل إلى مواضع، وهذه المقوّمات تُسهم في إقناع المتلقّين».[2]

ثانيا: قصار السور

1- تعريفها وخصائصها الموضوعيّة والفنّيّة:

أ- تعريفها:

قصار السّور تسمّى «بالمفصّل وتسمى القصار لقصرها، والمفصّل هو أواخر القرآن، واختلفوا في تعيين أوّله على اثنى عشر قولاً فقيل: أوّله (ق) وقيل غير ذلك وصحّح النّووي أنّ أوّله (الحجرات) وسمي بالمفصّل لكثرة الفصل بين سوره بالبسملة. ولهذا يسمى المحكم أيضا، كما روى البخاري عن سعيد بن جبير قال: إن الذي تدعونه المفصل هو المحكم».[3]

والمفصّل ثلاثة أقسام: «طوال وهي إلى (عمّ) وأوساط وهي إلى (الضّحى) وقصار وهي ما بقي إلى آخر المصحف».[4]

---

[1]- عبد الله صولة، المرجع السابق، ص 503.

[2]- المرجع نفسه، ص 523، 524.

[3]- محمد عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، طبع بمطبعة البابي الحلبي وشركاه، (د. ت)، ج1، ص 352.

[4]- عبد الله بن يوسف الجُدَيْع، المقدمات الأساسية في علوم القرآن، مؤسسة الريان للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 2001م، ص 147.

وهناك رأي آخر يُقِرُّ بأنّ قصار السور تبدأ من سورة (النّبأ) إلى سورة (الناس) أي: إلى آخر القرآن وسنأخذ بهذا الرأي لأنّ هذا الجزء كلّه «ذو طابع غالب سوره مكيّة تتفاوت في القصر. والأهم من هذا هو طابعها الخاص الذي يجعلها وحدة –على وجه التقريب– في موضوعها واتجاهها، وإيقاعها وصورها وظلالها وأسلوبها العام».[1]

ب– خصائصها الموضوعيّة والفنّيّة:

تعتبر قصار السّور في الغالب سور مكيّة ما عدا سورتيْ (البيّنة) و (النّصر) إذ تتميّز القصار بمجموعة من المميّزات التي تميّزها عن باقي السّور الأخرى. حيث يكون هذا التّمييز في موضوع هذه السّور وأساليبها، ومن بين هذه الخصائص:

– الخصائص الموضوعيّة:

1– الدّعوة إلى أصول الإيمان الاعتقاديّة من الإيمان بالله واليوم الآخر وما فيه من البعث والحشر والجزاء والإيمان بالرّسالة وإقامة الأدلّة العقليّة والكونيّة والأنفسيّة على ذلك، وهذه الثلاثة وأدلّتها هي التي يدور عليها غالبًا الحديث في السّور المكيّة؛ وذلك لأنّ القوم كانوا منغمسين في حمأة الشّرك والوثنيّة وكانوا لا يقرّون بالنبوّات و لا بالبعث وما بعده ويقولون: إن هي إلاّ حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما نحن بمبعوثين فكان اللائق بحالهم دعوتهم أوّلا إلى الإيمان بهذه الأصول فإذا ما آمنوا بها خوطبوا بالفروع والتشريعات التفصيليّة.

2– محاجة المشركين ومجادلتهم وإقامة الحجّة عليهم في بطلان عبادتهم للأصنام وبيان أنّها بمعزل عن الألوهيّة واستحقاق العبادة وأنّها لا تضر ولا تنفع ولا تخلق، ولا تحس، ولا تعي أيّ شيء، ودعوتهم إلى استعمال عقولهم ونبذ التقليد بغير حجّة وعلم ﴿بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ* وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِم

[1]– سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، القاهرة، ط1، 1972م، مج1، ص 3800.

﴿مُّقْتَدُونَ* قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ كَافِرُونَ﴾[1] وإقامة الأدلّة على أنّ القرآن حقّ لا شكّ فيه وأنّه من عند الله.

3- الدعوة إلى أصول التشريعات العامّة والآداب والفضائل الثابتة التي لا تتغيّر بتغيّر الزمان والمكان ولاسيما ما يتعلّق منها بحفظ الدّين والنّفس والمال والعقل والنسب وهي الكلّيات الخمس التي تتّفق فيها جميع الشرائع السماويّة وذلك كالحثّ على الثبّات على العقيدة والاستهانة بكل شيء في سبيلها والأمر بالصّلاة والصّدقة والصّدق والعفاف، وبرّ الوالدين، وصلة الرّحم والعفو، والعدل، والإحسان والتّواصي بالحقّ، والخير، والصّبر، والنّهي، عن القتل، ووأد البنات، والظّلم، والزّنا، وأكل أموال النّاس بالباطل.

4- ذكر قصص الأنبياء مع أقوامهم، ليكون في قصصهم عبر و موعظة لأولي الألباب، لبيان أنّ دعوة الرّسل جميعا واحدة وأنّهم جاءوا بالتوحيد الخالص والإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وأنّ الأنبياء وأتباعهم لاقوا كلّ أنواع الإيذاء في سبيل عقيدتهم ومع ذلك صبروا وثبتوا على عقائدهم وكان النصر والعاقبة لهم والهزيمة والخذلان لأعدائهم.

5- قصر أكثر آياته وسوره وذلك لنزوله بمكة وأكثر أهلها يومئذ يمتازون بعلو كعبهم في الفصاحة والبلاغة وتملّكهم لناصية القول والخطابة والشّعر وبلوغهم الغاية في لطف الحسّ، وذكاء العقل، والألمعة وسرعة الخاطر فكان المناسب لهم النُذَر القارعة، والعبارات الموجزة، والفقر القصيرة ذات اللّفظ الجزل والجرس القويّ، والمعنى الفحل فتصخّ الآذان وتستولي على المشاعر وتعقل ألسنتهم عن المعارضة وتدعهم في حيرة ودهشة ممّا يسمعون فلا يلبث البليغ منهم بعد سماعها من أن يلقى عصا العجز ويرسلها قولة صريحة تشهد بالإعجاز كما قال الوليد بن المغيرة القرشيّ لما سمع القرآن "والله لقد

[1]- سورة الزخرف، الآية: 24/22.

سمعت كلاما ما هو بالشّعر ولا بالسّحر ولا بالكهانة وإنّ له لحلاوة وإنّ عليه لطلاوة وإنّ أعلاه لمثمر وإنّ أسفله لمغدق وما هو بقول بشر وأنّه ليعلو ولا يعلى عليه".[1]

- الخصائص الفنّيّة (الأسلوبيّة):

1- تحتوي معظم هذه السّور على لفظ (كلاّ) نحو قوله تعالى في سورة النبأ: ﴿كَلَّا سَيَعْلَمُونَ * ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾[2]، وكذلك في سورة عبس: ﴿كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ﴾[3] وأيضا في سورة الانفطار ﴿كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ﴾[4] وفي سورة العلق قوله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَى﴾[5] ونجد ذلك في سورة الهمزة ﴿كَلَّا لَيُنبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ﴾.[6]

2- استعمال النّداء في السّور المكيّة القصيرة[7] مثل: قوله تعالى في سورة الانشقاق الكافرون قوله عزّ وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ﴾[8] ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾.[9]

3- قصر الآيات والسّور وإيجازها وحرارة تعبيرها وتجانسها الصّوتي وتنوّع فواصلها مثل سورة القارعة وغيرها.

---

[1]- محمد محمد أبو شهبة، المدخل لدراسة القرآن الكريم، دار اللواء للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الرياض، ط3، 1987م، ص 228، 229.

[2]- سورة النبأ، الآية: 5/4.

[3]- سورة عبس، الآية: 23.

[4]- سورة الانفطار، الآية: 9.

[5]- سورة العلق، الآية: 6.

[6]- سورة الهمزة، الآية: 4.

[7]- ينظر: مصطفى ديب البغا ومحي الدين ديب متو، الواضح في علوم القرآن، دار الكلم الطيب ودار العلوم الإنسانية للنشر والتوزيع، ط2، 1998م، ص 65.

[8]- سورة الانشقاق، الآية: 6.

[9]- سورة الكافرون، الآية: 1.

4- كثرة القسم[1] ومثال ذلك ما جاء في سورة الفجر قوله تعالى: ﴿وَالْفَجْرِ* وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾[2] وأيضا في سورة الشمس ﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا* وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا﴾.[3]

2- حجاجيّة قصار السور الفنية:

والمقصود هنا بحجاجيّة قصار السّور الفنّيّة هو الكلمات والصّيغ التي تحمل غاية حجاجيّة حيث تستعمل في سياقاتها المناسبة لها والتي تعتبر الأنسب من غيرها في موضع الخطاب أي أنفع من نظيراتها، ذلك «أنّ انتقاء اللفظ لذو قيمة حجاجيّة ثابتة بحيث يبدو القول بالتّرادف في اللغة قولا لا يخلو من شطط. صحيح أنّ بعض الدارسين وبعض الاتجاهات في دراسة الشّعر ترى أنّ اختيار لفظة دون مرادفها قد يكون على أساس شكلي، فهو لغاية إحداث التنغيم أو الإيقاع بحيث تبدو قيمة اللّفظ قيمة شكليّة محضة، لكنّ الخطاب الحجاجيّ لما كان مرتبط دائما بالمقام الذي يقال فيه إنّما يعمد إلى استخدام هذه الكلمة دون مرادفها في اللّغة لكونها أنسب منه في ذلك المقام».[4]

ويعرّف صولة القانون الأنفع حيث يقول: «هذا المصطلح من وَضْعِنا وَضَعْنَاهُ أسوةً لديكرو في حديثه عن قانون النفع أو الجدوى (Loi de l'utilité) بتطبيقه نفهم ما يقال لنا ونحسب دلالة هذا الذي يقال لنا في ضوء المقام أو الوضعية منطلقين من دلالته في مستوى المكون اللّساني فقانون النّافع يترجمه متأوّل الملفوظ إلى سؤال من قبيل لماذا قال المتكلّم ما قال؟»[5]، ويرى أنّ «القانون الأنفع قانون خاص بالخطاب الحجاجيّ على الأقل في البلاغة الجديدة ونظريات الحجاج التّقني عند ديكرو و أونسكومبر يعتبر كل منهما على طريقته أنّ بين وحدات اللّغة تفاوتا في درجة التعبير حجاجيًّا عن فكرة ما بحيث يعتمد التّعبير على العنصر (أ) دون العنصر (ب) تطبيقا لقانون

[1]- صبحي الصالح، مباحث في علوم القرآن، دار العلم للملايين، بيروت، ط10، 1977م، ص 183.

[2]- سورة الفجر، الآية: 2/1.

[3]- سورة الشمس، الآية: 2/1.

[4]- عبد الله صولة، الحجاج: أطره و منطلقاته وتقنياته من خلال مصنف في الحجاج الخطابة الجديدة، لبيرلمان وتيتيكا، ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، إشراف حمادي صمّود، ص 319، 320.

[5]- عبد الله صولة، في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات، مسكيلياني للنشر والتوزيع، تونس، ط1، 2011م، ص 78.

الأنفع حجاجيًّا فالسّؤال الذي يطرح هنا عند سماعنا خطابًا ما هو: لماذا ترك المتكلّم عنصر (ب) وعبّر بدلا منه بالعنصر (أ) وما وجه النّفع في ذلك؟، أي فيما كان العنصر (أ) أو الطّريقة (أ) أنفع و أجدى من الطّريقة (ب)؟»[1]، «فقولنا عن زيد "إنّ له استعدادًا لإيقاع النّاس في الخطأ" عوضًا عن "إنّه كاذب" قد يكون المقصود منه إفراغ صفة "كاذب" من شحنتها السلبية وجعل اللّفظ المطلق على زيد له طابع الحكم الموضوعي غير المنزّل إيّاه في منزلة المتّهم ، ومن هنا تنشأ الدّلالة الحجاجيّة التي لجملة "له استعداد لإيقاع النّاس في الخطأ" وهي دلالة ليست للفظة "كاذب"».[2]

وسنتناول في هذا الصّدد المستويات الثلاثة للكلم لنبيّن وجه النفع من استخدام لفظ مكان لفظ وصيغة مكان صيغة وكذلك الوقع الذي تحدثه مفردة بدل أخرى وهذه المستويات هي:

أ- حجاجيّة المادة المعجميّة:

الآية الأولى:يقول تعالى في سورة النازعات: ﴿قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ* أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ* يَقُولُونَ أَئِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ﴾.[3]

سميت في المصاحف وأكثر التفاسير «(سورة النازعات) بإضافة سورة إلى النازعات بدون واو،جعل لفظ "النازعات" علما عليها لأنّه لم يذكر في غيرها، وهي مكّيّة بالاتفاق، ومعدودة بالحادية والثّمانين في ترتيب النّزول، نزلت بعد سورة النبأ وقبل سورة الانفطار، وعدد آياتها خمس وأربعون عند الجمهور وعدَّها أهل الكوفة ستّا وأربعين آية، اشتملت هذه السّورة على إثبات البعث والجزاء ، وإبطال إحالة المشركين وقوعه، وتهويل يومه وما يعتري النّاس حينئذ من الهول وإبطال قول المشركين بتعذّر الإحياء بعد انعدام الأجساد».[4]

---

[1]- المرجع السابق، ص 79.

[2]- عبد الله صولة، الحجاج: أطره و منطلقاته وتقنياته من خلال مصنف في الحجاج الخطابة الجديدة، بيرلمان و تيتيكا، ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، إشراف حمادي حمود، ص 320.

[3]- سورة النازعات، الآية: 10/8.

[4]- محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج30، ص 59، 60.

اختيار لفظة "خاشعة"

في هذه الآية الكريمة نجد أنّ الله تعالى استخدم هذه الكلمة دون غيرها من المفردات ولم يقل تعالى أبصارها خائفة أو خاضعة أو أيّ لفظ آخر من جدول هذه المفردة المعجميّ. فما الفرق بين الخشوع والخضوع؟

الخشوع والخضوع في اللّغة:

«خشع: الخاء والشّين والعين أصل واحد، يدلّ على التطامن. يقال خشع إذا تطامن وطَأْطَأَ رأسه يخشع خشوعًا. وهو قريب المعنى من الخضوع. إلاّ أنّ الخضوع في البدن، والإقرار بالاستجداء والخشوع في الصوت والبصر».[1] قال الله تعالى: ﴿خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ﴾.[2]

خضع: «الخاء والضّاد والعين أصلان: أحدهما تطامُنٌ في الشّيء والآخر جنس من الصَّوت فالأوّل الخضوع: قال الخليل: خضع خضوعًا، وهو الذّلُّ والاستجداء اختضع فلان. أي تذلَّل و تقاصر».[3]

الفرق بين الخشوع والخضوع:

إنّ الخشوع على ما قيل: فعل يرى فاعله أنّ من يخضع له فوقه وأنّه أعظم منه والخشوع في الكلام خاصّة والشّاهد قوله تعالى: ﴿وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ﴾[4]، وقيل: هما من أفعال القلوب وقال ابن دريد: يقال خضع الرجل للمرأة وأخضع إذا ألان كلامه لها. وقال: والخاضع المطأطئ رأسه وعنقه وفي التنزيل: ﴿فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ﴾[5] وعند بعضهم «أنّ الخشوع لا يكون إلاّ مع خوف الخاشع للمخشوع له، ولا يكون تكلّفًا. ولهذا يضاف إلى القلب فيقال: خشع قلبه وأصله

[1]- ابن فارس، مقاييس اللغة، ص 182.

[2]- سورة القلم، الآية: 43.

[3]- ابن فارس، المرجع السابق، ص 189.

[4]- سورة طه، الآية: 108.

[5]- سورة الشعراء، الآية: 4.

اليُبَس، ومنه يقال: قُفٌّ خاشع للّذي تغلب عليه السهولة والخضوع هو التّطامن، و التّطأطؤ ولا يقتضي أن يكون معه خوف ولهذا لا يجوز إضافته إلى القلب. فيقال: خضع قلبه وقد يجوز أن يخضع الإنسان تكلّفا من غير أن يعتقد أنّ المخضوع له فوقه. ولا يكون الخشوع كذلك وقال بعضهم: الخضوع قريب المعنى من الخشوع إلاّ أنّ الخضوع في البدن، والإقرار بالاستجداء والخشوع في الصّوت».[1]

ومنه ندرك أنّ استخدام الله تعالى لمفردة "خاشعة" في هذا السّياق أنفع من غيرها؛ ذلك أنّ الخشوع يلتزم الخوف لذلك نسب إلى القلب أي الخشوع «بالجوارح ولذلك إذا تواضع القلب خشعت الجوارح»[2] أمّا الخضوع فلا يكون معه الخوف ويكون متكلّفا ويكون في البدن لا في الصّوت. فالكلمة هنا –خاشعة– جاءت بهدف إقناع المتلقي بأنّ الخشوع أعمق وأعظم درجة من الخضوع.

الآية الثانية: قوله عز وجل في سورة الانشقاق: ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾.[3]

سورة الانشقاق سورة مكية آياتها خمس وعشرون آية[4]، نزلت بعد سورة الانفطار ونزلت سورة الانفطار بعد الإسراء ، وقبيل الهجرة ، فيكون نزول سورة الانشقاق، في ذلك التاريخ أيضا، وقد سميت هذه السورة بهذا الاسم، لقوله تعالى في أولها ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ﴾[5]، ويقصد من هذه السورة

[1]– أبو هلال العسكري، الفروق اللغوية، تح: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، (د. ط)، (د.ت)، ص 248، 249.

[2]– أبو البقاء الكفوي، الكليات، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط2، 1998م، ص 431.

[3]– سورة الانشقاق، الآية: 25.

[4]– جعفر شرف الدين، الموسوعة القرآنية خصائص السور، دار التعريب بين المذاهب الإسلامية، بيروت، لبنان، ط1، 1999م، مج11، ص 147.

[5]– سورة الانشقاق، الآية: 1.

«إثبات المعاد، وما يكون فيه من حساب وثواب وعقاب؛ فهي أيضا في سياق الإنذار والترهيب، والترغيب، كسورة المطفّفين؛ وهذا هو وجه المناسبة في ذكرها بعدها».[1]

اختيار لفظة "أجر":

ورد في قوله تعالى التّعبير عن الذين يعملون الأعمال الصّالحة بأن جزاؤهم غير مقطوع لا تشوبه شائبة، فاختار لفظ "أجر" للتّعبير عن ذلك بدل غيره من الألفاظ ثواب، جزاء .....، فما الفرق بين الأجر والثّواب؟ وما وجه النّفع في هذا الاختيار؟

الأجر والثواب في اللغة:

أجر: الأجْرُ: الجزاء على العمل والجمع أُجور .... والأجْر: الثواب؛ وقد أجره الله يأْجُرُهُ وبأجِرُه أجْرًا وآجره الله إيجارًا.

وفي حديث أم سلمة: آجرني الله في مصيبتي وأخلف لي خيرًا منها؛ أجَرَه يأجُرُه، والأمر منهما أجِرْني وأجُرْني. وقوله تعالى: ﴿وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا﴾[2] قيل: هو الذّكر الحسن وقيل أجره الولد الصالح وقوله تعالى: ﴿فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ﴾[3] الأجر الكريم: الجنة.[4]

الثَّوابُ: جزاء الطاعةِ، وكذلك المثُوبَةُ قال الله تعالى: ﴿لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ خَيْرٌ﴾[5] وأعطاه ثوابه ومَثَوَبَتَهُ أي جزاء ما عمله.[6]

---

[1]- جعفر شرف الدين، المرجع السابق، ص 153.

[2]- سورة العنكبوت، الآية: 27.

[3]- سورة يس، الآية: 11.

[4]- ابن منظور، لسان العرب، مج1، ص 10.

[5]- سورة البقرة، الآية: 103.

[6]- ابن منظور، المرجع السابق، مج2، ص 244.

الفرق بين الأجر والثّواب:

أنّ الأجر يكون قبل الفعل المأجور عليه والشّاهد: «أنّك تقول: ما أعمل حتّى آخذ أجري. ولا تقول: لا أعمل حتى آخذ ثوابي لأنّ الثّواب لا يكون إلاّ بعد العمل على ما ذكرنا هذا على أنّ الأجر لا يستحق له إلاّ بعد العمل كالثّواب إلاّ أنّ الاستعمال يجري بما ذكرناه أيضا فإن الثّواب قد شهر في الجزاء على الحسنات والأجر يقال في هذا المعنى، ويقال على معنى الأجرة التي هي من طريق المثامنة بأدنى الأثمان وفيها معنى المعاوضة بالانتفاع».[1]

ومنه نصل إلى أنّ استعمال الله تعالى لمفردة الأجر أصلح في هذا السّياق، لما فيها من دلالة النّفع لأنّ الأجر لا يقال إلاّ في النّفع وهو أنّهم إذا آمنوا وقاموا بالفعل الصّالح كانت لهم أجرة ومنفعة غير مقطوعة، أمّا «الثّواب فهو عبارة عن المنفعة الخالصة المقرونة بالتّعظيم»[2]، ويتعلّق الثّواب بصحّة العزيمة، والأجر يتعلّق بالشّرط.

ب- حجاجية المادّة الصّوتيّة:

الآية الأولى: قال تعالى في سورة عبس: ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ* يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ* وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ﴾.[3]

سورة عبس وتسمّى «سورة السّفرة، وسورة الأعمى، مكيّة في قول الجميع»[4]، «وسمّيت بهذا الاسم لقوله تعالى في أوّلها ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى* أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى﴾[5] وتبلغ آياتها اثنتين وأربعين آية».[6]

---

[1]- أبو هلال العسكري، الفروق اللغوية، ص 237.

[2]- أبو البقاء الكفوي، الكليات، ص 327.

[3]- سورة عبس، الآية: 35/33.

[4]- محمد علي طه الدرة، تفسير القرآن الكريم وإعرابه وبيانه، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، ط1، 2009م، مج10، ص 445.

[5]- سورة عبس، الآية: 2/1.

[6]- جعفر شرف الدين، الموسوعة القرآنية خصائص السور، مج11، ص 73.

اختيار لفظة الصّاخّة:

الصّاخّة الطّامّة، الصّيحة .... من بين هذه المفردات وردت مفردة الصّاخة في هذه السّورة إذ تحمل نظيراتها —الطّامة، الصّيحة— إيحاءات صوتيّة تحمل معنى ودلالة يوم الحساب، لكن الاختيار وقع على هاته اللّفظة فما سرّ هذا الاختيار؟ وما الإيحاء والوقع الذي تدلي به في هذا السياق؟

الصّاخّة وهي الصّيحة الثّانية، قال ابن قتيبة: «الصّاخة تصخّ صخًّا، أي: تُصِمُّ يقال: رجل أصخّ، و أصلخ: إذا كان لا يسمع والدّاهية صاخّة أيضا وقال الزّجّاج:

هي الصّيحة التي تكون عليها القيامة»[1]، سمّيت بذلك «لأنها تصخّ الأسماع أي تبالغ في الأسماع حتى تكاد تصمّها».[2]

فالصّاخة صارت في القرآن« علما بالغلبة على حادثة يوم القيامة وانتهاء هذا العالم، وتحصل صيحات منها أصوات تزلزل الأرض واصطدام بعض الكواكب بالأرض مثلا ، ونفخة الصُّور التي تبعث عندها الناس»[3]، فالصّاخة يوم تجيء بهولها الذي يتجلّى في لفظها كما تتجلّى آثارها في القلب البشريّ الذي يذهل عمّا عداها؛ وفي الوجوه التي تحدث عمّا دهاها فهذه الكلمة —الصّاخّة— تسكب في الحسّ إيقاعات شديدة التّأثير« فهي من القوّة والعمق بحيث تفعل فعلها في القلب بمجرّد لمسها له بذاتها»[4] فهي لفظ ذو جرس عنيف نافذ يكاد يخرق صماخ الأذن، وهو يشقّ الهواء شقًّا حتى يصل إلى الأذن صاخًّا ملحًا.« وهو يمهّد بهذا الجرس العنيف للمشهد الذي يليه مشهد المرء يفرّ وينسلخ من ألصق الناس به، وهذه الصّاخة تمزّق هذه الرّوابط تمزيقًا. وتقطّع تلك الوشائج تقطيعًا».[5]

ويشتدّ إيقاع اللّفظ ويقوى الإيحاء بالمعنى الشّديد للتّعبير عن يوم القيامة (الصّاخّة) وهو لفظ شديد الوقع على الأذن قويّ الجرس تناسب أهوال القيامة وشدائدها، وهذه القوّة في الإيقاع متولّدة

---

[1]- جمال الدين عبد الرحمان بن علي بن محمد الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، المكتب الإسلامي، بيروت، ط3، 1984م، ج9، ص 34، 35.

[2]- أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، تفسير البغوي «معالم التنزيل»، تح: محمد عبد الله النمر، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، (د. ط)، 1412هـ، مج8، ص 339.

[3]- محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج30، ص 134، 135.

[4]- سيد قطب، في ظلال القرآن، مج1، ص 3822.

[5]- المرجع نفسه، مج1، ص 3834.

من بناء الكلمة المعتمد على حرف ممدود بالألف (صا) ثم إيقاع الحرف الممدود على حرف مشدّد بعد هذا الارتفاع في حركة المدّ، فهذا الوقوع على الحرف المشدّد يزيد من شدّة الإيقاع وقوّته. ثم وجود التّاء في نهاية اللّفظ، والتي تُنطق هاء ساكنة عند الوقف توحي بانتهاء الشدّة عند السّكون الملحوظ في نهاية اللفظة.[1]

ونخلص إلى أنّ استعمال مفردة الصّاخة في هذا المقام أنسب من استعمال غيرها؛ ذلك ما توحي به هذه الكلمة من شدّة وهول ذلك اليوم.

الآية الثّانية: في قوله تعالى في سورة التّكوير: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ* الْجَوَارِ الْكُنَّسِ* وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ* وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ* إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾.[2]

تسمّى (سورة كُوّرت) تسمية بحكاية لفظ وقع فيها ولم يعدها في الإتقان مع السّور التي لها أكثر من اسم، وأكثر التّفاسير يسمّونها (سورة التّكوير) وكذلك تسميتها في المصاحف وهو اختصار المدلول "كُوّرت" وهي مكّيّة باتّفاق وهي معدودة السّابعة في عداد نزول سور القرآن، نزلت بعد سورة الفاتحة وقبل سورة الأعلى، وعدد آياتها تسع وعشرون.

«اشتملت على تحقيق الجزاء صريحا وعلى إثبات البعث وابتدئ بوصف الأهوال التي تتقدّمه وانتقل إلى وصف أهوال تقع عقبه وعلى التّنويه بشأن القرآن الذي كذّبوا به لأنّه أوعدهم بالبعث زيادة لتحقيق وقوع البعث إذ رموا النبي –صل الله عليه وسلم– بالجنون والقرآن بأنّه يأتيه به الشّيطان».[3]

اختيار لفظة «عَسعَس»:

استعملت لفظة عسعس هنا لوصف قدرته عزّ وجلّ، فجُسّدت هذه الكلمة بجميع حروفها هذا الوصف دون غيرها من الكلمات. فما اللمسة البيانية التي تضيفها في هذا المقام؟.

[1]– ينظر: عبد السلام الراغب، البنية الإيقاعية في الأسلوب القرآني، مقال منشور على الموقع: islamsyria.com، ص 9.

[2]– سورة التكوير، الآية: 19/15.

[3]– محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج30، ص 139، 140.

فمعنى «(عسعس اللّيل) أقبل أو أدبر بظلامه، (عسعس) في اللّغة من (عَسَّ – يَعُسُّ – عَسًّا) أي: طاف بالليل و(عسعس اللّيل عسعسه) هو إقباله وقيل: هو إدباره إذْ جسّم جرس السين الحركة وإيقاعها يوحي بحركة الليل وهو يعسّ في الظّلام والخفاء، كما يعسّ الماشي ويطوف في الليل تارة بيده وأخرى برجله، وهو إيحاء بالجرس المؤدّي للمعنى، حيث "عسعس" يشير إلى إقبال الظّلام».[1] «فالهمس يتجسَّد في تكرير السين وهو يناسب اللّيل، فكأنّ "عسعس" ترسم الأجواء اللّيليّة الهادئة».[2]

إنّ الدّلالة الصّوتيّة في هذا اللّفظ قد اختلفت تمامًا عن الدّلالات الصّوتية الأخرى في الألفاظ الرّباعيّة المضعّفة، إذ إنّها جميعا حملت معاني العنف والقوّة والتّهديد في بنائها الصّوتي ممّا يعطي للقارئ تصوّرًا. «إنّ هذه الألفاظ جاءت مضعّفة لإظهار هذه المعاني إلاّ أنّ هذا التّصوّر سرعان ما يتبدّد مع "عسعس" بما يشيعه من أجواء راخية حالمة وهو يجسّد صورة اللّيل وهو يعسّ بالظّلام بحركة وئيدة بطيئة، وصورة حيّة شاخصة على طريقة القرآن في التّشخيص، لتحقّق منتهى التّأثير بهذه الصّورة الشّاخصة كما أنّنا لو نظرنا إلى الأصوات المفردة التي تكوَّن منها اللفظ واللّذان هما صوتا العين والسّين نجد أنّ تراوح صوت العين بين الجهر والرّخاوة يعطي إيحاء بدخول الصّبح بما يحمله من أصوات هادئة فالجّهر يناسب الصّبح، كما أنّ الهمس والخفاء في السين يناسب اللّيل وبذلك تكون هذه اللّفظة بجرسها الصّوتي قد رسمت مشهد الهزيع الأخير من اللّيل في وقت قد تداخل فيه ضوء الفجر الذي أقبل بقوّة مع ظلام اللّيل الذي أدبر بهدوء».[3]

أضافت هذه الكلمة من خلال تركيبها اللّغوي والصّوتي إيحاء عجيبًا إذ تجسّد للقارئ عظمة الخالق، فكان اختيارها لهذا المقام اختيارًا للتّعبير رائعًا.

---

[1]– فراكيس امحمد، الدلالات الصوتية للصفات العامة والصفات الخاصة في القرآن الكريم، مجلة جيل الدراسات الأدبية والفكرية، ع34، أكتوبر 2017م، ص 44.

[2]– أحمد ياسوف، جمالية المفردة القرآنية، دار المكتبي للطباعة والنشر والتوزيع، سوريا، دمشق، ط2، 1999م، ص 88.

[3]– ياسر علي عبد الخالدي وكاظم صافي حسين الطائي، الجرس الصوتي –دراسة جمالية في ألفاظ غريب القرآن–مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية، ع18، كانون الأول 2014م، ص 455.

ج- حجاجيّة البنية الصّرفيّة:

الآية الأولى: جاء في سورة الانفطار قوله تعالى: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انفَطَرَتْ* وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انتَثَرَتْ* وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ* وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ* عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ﴾.[1]

سمّيت في بعض التّفاسير (سورة إذا السماء انفطرت) في أوّلها فعرفت بها وسمّيت في قليل من التّفاسير (بسورة انفطرت) وقيل: «تسمّى (بسورة المنفطرة) أي السّماء المنفطرة، وهي مكّيّة بالاتفاق ومعدودة الثّانية والثمانين في عداد نزول السورة نزلت بعد سورة النازعات وقيل سورة الانشقاق وعدد آياتها تسع عشرةَ آية ،واشتملت هذه السورة على:إثبات البعث، وذكر أهوال تتقدّمه وإيقاظ المشركين للنّظر في الأمور التي صرفتهم عن الاعتراف بتوحيد الله تعالى وعن النّظر في دلائل وقوع البعث والجزاء، والإعلام بأنّ الأعمال محصاة وبيان جزاء الأعمال خيرها وشرّها وإنذار النّاس بأن لا يحسبوا شيئًا ينجيهم من جزاء الله إيّاهم على سيّء أعمالهم».[2]

اختيار كلمة "انفطرت" على صيغة انفعل:

إنّ لهذه الصّيغة دلالات متعدّدة فوقع الاختيار عليها نظرًا للمعنى الذي تؤدّيه في هذه الآية فما مناسبة استعمالها في هذا المقام؟ وفيما هي أحجّ وأبلغ من غيرها من الصيغ؟

من المعاني التي تؤدّيها هذه الصّيغة هي المطاوعة، ومعنى هذه الأخيرة «عند علماء التّصريف هي قبول الأثر. وذلك فيما يظهر للعيون كالكسر والقطع والجذب ومن ثمّ جاءت هذه الصّيغة دالّة على ذلك المعنى في جميع سياقاتها»[3]، فممّا جاء من ذلك في القرآن قول الله تعالى: ﴿وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ﴾.[4]

---

[1]- سورة الانفطار، الآية: 5/1.

[2]- محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج30، ص169، 170.

[3]- عبد الحميد أحمد يوسف الهنداوي، الإعجاز الصرفي في القرآن، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، لبنان، (د.ط)، 2008م، ص 129.

[4]- سورة التكوير، الآية: 2.

وقوله: ﴿إِذَا السَّمَاء انشَقَّتْ﴾[1] وقوله: ﴿إِذَا السَّمَاء انفَطَرَتْ﴾[2] والتي نقصدها ومعنى "انفطرت" تشقّقت بأمر الله لنزول الملائكة ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاء بِالْغَمَامِ وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنزِيلاً﴾.[3] وقيل: «تفطّرت لهيبة الله تعالى، وقد جاءت هذه الصّيغة –انفعل– الدّالة على المطاوعة مناسبة أتم المناسبة لسياقها حيث دلّت على استجابة ذلك الكون وطواعيته وتأثّره بكلمة الله تعالى له (كن) فإذا السّماء انفطرت وإذا عقد الكون كلّه قد انفرط في لحظة واحدة طواعية لأمر الله تعالى فصدق الله تعالى إذ يقول: ﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ﴾[4] ويؤكّد هذا المعنى أن استقراء هذه الصّيغة في موقعها يدلّ على أنّ هذه الصّيغة إنّما تسند للفاعل الذي ينفعل للحدث بسرعة وطواعيّة لحظة البدء فيه فلا يصحّ أن نقول: فتحته فانفتح فيما أحكم إغلاقه».[5]

ومنه نخلص إلى أنّ استعمال هذه الصّيغة أنسب في هذا المقام.

الآية الثانية: قال تعالى في سورة الغاشية: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ* وَإِلَى السَّمَاء كَيْفَ رُفِعَتْ* وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ* وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾.[6]

سورة الغاشية سورة مكّيّة وآياتها ست وعشرون آية نزلت بعد سورة الذّاريات[7]، وقد سُمّيت بهذا الاسم لقوله تعالى في أوّلها: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ﴾[8] واشتملت على «تفصيل الثّواب

[1]– سورة الانشقاق، الآية: 1.

[2]– سورة الانفطار، الآية: 1.

[3]– سورة الفرقان، الآية: 25.

[4]– سورة القمر، الآية: 50.

[5]– عبد الحميد أحمد يوسف الهنداوي، الاعجاز الصرفي في القرآن، ص 129.

[6]– سورة الغاشية، الآية: 20/17.

[7]– جعفر شرف الدين، الموسوعة القرآنية خصائص السور، مج11، ص 213.

[8]– سورة الغاشية، الآية: 1.

والعقاب في يوم القيامة وهذا هو سياق الإنذار والتّرهيب والترّغيب»[1]، كذلك «وصف أهل النّار وأهل الجنّة ووصف مشاهد الكون وبدائع الصّنعة الإلهيّة وتحديد مهمّة الرّسول صل الله عليه وسلم بالبلاغ والدّعوة إلى الهداية».[2]

اختيار لفظة "خلقت" على صيغة المبني للمجهول:

تحمل هذه الآية قدرة الله تعالى وحكمته في خلق الكون، وقد نُسِجَت كلّها على صيغة المبني للمجهول ومنها كلمة "خُلِقَتْ" فما وجه النّفع في استعمال هذه الصّيغة في هذا الخطاب؟

فقوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾[3] وهي «الجمال فإنّه اجتمع فيها ما تفرّق من المنافع في غيرها من أكل لحمها وشرب لبنها والحمل عليها والتّنقّل عليها إلى البلاد الشّاسعة وعيشها بأي نبات أكلته وصبرها على العطش حتّى إن فيها ما يرد الماء لعشر وطواعيتها لمن يقودها ونهضتها وهي باركة بالأحمال الثّقال وكثرة حنينها وتأثّرها بالصّوت الحسن على غلظ أكبادها ولا شيء من الحيوان جمع هذه الخصال غيرها. وقد أبان تعالى امتنانه عليهم بها بقوله: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَاماً﴾[4] ولكونها أفضل ما عند العرب جعلوها ديّة القتل ووهبوا المائة منها من يقصدهم ومن أرادوا إكرامه وناسب التنبيه بالنّظر إليها وإلى ما حوت من عجائب الصّفات ما ذكر معها من السّماء والجبال والأرض لانتظام هذه الأشياء في نظر العرب في أوديتهم وبواديهم وليبيّن على الاستدلال على إثبات الصّانع وأنّه ليس مختصّا بنوع دون نوع بل هو عام في كلّ موجوداته».[5]

---

[1]- جعفر شرف الدين، المرجع السابق، ص 219.

[2]- المرجع نفسه، ص 217.

[3]- سورة الغاشية، الآية: 17.

[4]- سورة يس، الآية: 71.

[5]- أبو حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، تح: عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1993م، ج8، ص 458، 459.

فالصّيغة هنا في البناء للمجهول هي «تغييب الفاعل الذي يجحده هؤلاء الكافرون ليفسح مجال النّظر إلى دلائل قدرته التي لا يدعيها أحد غيره سبحانه، فإذا أسلم هؤلاء الجاحدون بما في هذه المخلوقات من حكمة وقدرة وإبداع لا يدعيها أحد غيره سبحانه و لا يصحّ نسبتها إلى أحد سواه فقد سلموا بأنّه لا خالق غيره و لا ربّ سواه، ومن ثم جاء اختيار البناء للمجهول لإفساح المجال للنّظر في الأدلّة الدّالة على الفاعل الصّانع ليتوصّل إليه المشركون ويفرّوا إليه بأنفسهم فيكون هذا الطّريق أقوى في إقامة الحجّة عليهم من طريق التّصريح بالفاعل».[1]

ومنه فقد جاءت هذه الصّيغة في هذا المقام أقنع وأبلغ من غيرها لإبراز عظمة الله وقدرته في خلقه، وتوجيه الجاحدين المنكرين لإبداعه عزّ وجلّ.

يمثل الخطاب الحجاجي القرآني بكل وجوهه منهجًا لغويًا في استنتاج الأقوال المضمرة والمبطنة في الآيات، إضافة إلى ما تؤديه المفردة والصيغة الحجاجية والمواد الصوتية ذات البعد الحجاجي في بيان المعاني وما تؤول إليه من أفكار لتغيير المعتقدات والآراء المعاكسة للقرآن.

[1]- عبد الحميد أحمد يوسف الهنداوي، الإعجاز الصرفي في القرآن، ص 120.

الفصل الثّاني: حجاجيّة التراكيب في قصار السور

أولا: المؤكّدات في التراكيب وأبعادها الحجاجيّة

مظاهر التّوكيد داخل الجملة

حجاجيّة التّوكيد بين الجمل

ثانيا: الحذف في التراكيب وأبعاده الحجاجيّة

مظاهر الحذف داخل الجملة

حجاجيّة الحذف بين الجمل

إنّ معالجة أيّ موضوع يستدعي الولوج في معانيه لكي تتضح مسالكه، فمفهوم التّركيب واسع فقد عالجه النّحاة والدّارسون قديمًا وحديثا ومن المفاهيم التي انصبّت في هذا المجال ما جاء في أنوار الرّبيع أنّ التّركيب ما ضمّ فيه كلمة إلى أخرى لا على طريق سرد الأعداد مثل قولك: قلم قرطاس، كتاب باب وهو أربعة أقسام:

اسناديّ: إن اشتمل على نسبة بين الألفاظ يحصل بها فائدة وإن لم تكن مقصودة، وإضافيّ: نحو: كتاب الله، وتوصيفيّ: نحو: الإنسان الكامل ومزجي عددي: كخمسة عشر وغير عددي كسيبويه[1] ...

إذن فالتّركيب على ضربين: تركيب إفراد وتركيب إسناد، فالأوّل أن تأتي بكلمتين فتركبهما وتجعلهما كلمة واحدة بإزاء حقيقة واحدة بعد أن كانتا بإزاء حقيقتين وهو من قبيل النقل ويكون في الأعلام نحو: معدى كرب وحضر موت ...، والثاني تركيب الإسناد أن تركّب كلمة مع كلمة تسند إحداهما إلى الأخرى فعرفك بقوله أسندت إحداهما إلى الأخرى أنّه لم يرد مطلق التّركيب بل تركيب الكلمة مع الكلمة إذا كان لإحداهما تعلّق بالأخرى على السبيل الذي يحسن موقع الخبر وتمام الفائدة[2]، وهذا الأخير الذي يهمّنا، وإن أفاد —الإسناديّ— فائدة تامة مقصودة يحسن السكوت عليها سمّي كلامًا وجملة نحو: العلم نور والأدب مشكور، وإن أفاد فائدة غير مقصودة سمّي جملة لا كلامًا كجملة الشّرط في نحو: إن تأدّبت وجملة الصّلة في نحو: الذي يجتهد.[3]

وعليه فالتّركيب الإسناديّ هو الذي تقوم عليه الجملة سواء أفادت معنى أم لم تفد، أمّا عند ابن جنّي (ت 392هـ) فالجملة تحمل معنى الكلام إذ يقول: «الكلام إنّما هو في لغة العرب عبارة عن الألفاظ القائمة برؤوسها المستغنية عن غيرها، وهي التي يسمّيها أهل هذه الصناعة الجمل»[4]، بمعنى

[1]- محمود عالم المنزلى، أنوار الربيع في الصرف والنحو والمعاني والبيان والبديع، مطبعة التقدم العلمية، مصر، ط1، 1322هـ، ص 59.

[2]- ابن علي ابن يعيش، شرح المفصل، عالم الكتب، بيروت، (د. ط)، (د. ت)، ج1، ص 20.

[3]- المرجع السابق، ص 59.

[4]- ابن جني، الخصائص، تح: محمد علي النجار، دار الكتب المصرية، مصر، (د. ط)، (د. ت)، ج1، ص 32.

أنّ الجملة مرادفة للكلام، وهو ما ذهب إليه ابن يعيش (ت643هـ) بقوله: «إنّ الكلام عند النّحويّين عبارة عن كل لفظ مستقل بنفسه مفيد لمعنى ويسمّى الجملة».[1]

إنّ تركيب الجملة سيكون محل الدّراسة في هذا الفصل إلى جانب الجمل التي تحمل دلالات عند مجاراة كل جملة مع أختها لِتُكَوِّنَ مجموعة من العلاقات تتظافر بها لتميّز الكلام على أنّ هذا الأخير سمته البلاغيّة تتمثّل في الإطناب والإيجاز؛ حيث يجعلان الكلام معدولاً عن الكلام العادي، ومنه فالكلام القرآني يقوم عليهما، فالإطناب هو كون الكلام زائدًا عمّا يمكن أن يؤدّى به من المعاني في معتاد الفصحاء لفائدة تقصد[2]، والإيجاز هو التّعبير عن المراد بكلام قصير ناقص عن الألفاظ التي يؤدّى بها عادة في متعارف النّاس مع وفائه بالدّلالة على المقصود.[3]

واقتصرنا في هذه الدّراسة على نوع واحد لكل منهما، بداية من الإطناب بالزّيادة فيكون بزيادة الألفاظ على أصل المعنى الذي يراد بيانه لتحقيق فائدة ما[4]، ويكون ذلك في نطاق الجملة الواحدة بعناصر التّوكيد الداخل على الجملتين الفعليّة والاسميّة، وأيضا بين الجمل، أمّا بالنّسبة لقسم الإيجاز فيكون بإيجاز الحذف وهو الذي يكون قصر الكلام فيه بسبب استخدام حذف بعضه اكتفاءً بدلالة القرائن على ما حُذِفَ[5]، ويكون أيضا داخل الجملة وعلى مستوى الجمل.

وتحمل كلّ هذه العناصر سواء ألفاظ التّوكيد الدّاخلة على الخطاب القرآني وأسلوب الحذف مظاهر حجاجيّة تظهر من خلال الدّراسة.

---

[1]- ابن علي ابن يعيش، شرح المفصل، ج1، ص 32.

[2]- عبد الرحمان حسن حبنّكة الميداني، البلاغة العربية، أسسها وعلومها وفنونها، دار القلم، دمشق، ط1، 1996م، ج2، ص 60.

[3]- المرجع نفسه، ص 20.

[4]- المرجع نفسه، ص 64.

[5]- المرجع نفسه، ص 39.

أولا: المؤكّدات في التّراكيب وأبعادها الحجاجيّة:

1- مظاهر الحجاج في التّوكيد داخل الجملة بـ:

أ-"إنّ مع اللاّم":

(إنّ) أداة لتوكيد النِّسبيّة في الجملة الاسميّة و لا تتّصل إلاّ بالاسم المسند إليه (المبتدأ) ويكثر مجيء الظّرف والجار والمجرور بعدها مباشرة، وذلك لأنّهم تجوَّزوا في الظُّروف ما لم يتجوّزوا في غيرها، و (إنّ) لها مصدر الجملة دائما ووظيفتها تثبيت الحكم حين يكون المخَاطَب طالِبا ذلك، فإذا كان طلبه أشدّ بأن كان حاكمًا بخلاف ما في نفس المتكلّم، قويت (إنّ) بمؤكِّد آخر وهو اللاّم وحدها أو اللاّم ولفظ القسم، وذلك مثل قوله تعالى: ﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءهَا الْمُرْسَلُونَ* إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ* قَالُوا مَا أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَا أَنزَلَ الرَّحْمَنُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ* قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ﴾[1] فنجد الآية الأولى ﴿إِنَّا إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ﴾[2] لما أنكروا وكذبوا، وكأنّهم طلبوا معرفة حقيقة هذا الخبر، وفي الآية الثانية زاد التأكيد باللام فقال: ﴿إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ﴾[3] لما زاد إنكارهم وتكذيبهم.[4]

ومثاله أيضا في حديث النبي-صل الله عليه وسلم-عند تأكيده على أنّ ما يجده الظّالم من الغنى والقوّة والصّحّة وشتّى النّعم إنّما ذلك استدراج وإمهال وإملاء، فلمّا يحقّ عليه القول ويحين وعد الله عليه فإنّ عذابه أليم شديد: «إِنّ اللَّه لَيُمْلِيَ للظَّالِمِ حَتَّى إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ» ثم قرأ: ﴿وَكَذَلِكَ

[1]- سورة يس، الآية: 16/13.

[2]- سورة يس، الآية: 14.

[3]- سورة يس، الآية: 16.

[4]- محمد حسين أبو الفتوح، أسلوب التوكيد في القرآن الكريم، مكتبة لبنان، بيروت، ط1، 1995م، ص 131، 132.

﴿أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾[1]، فنرى في هذا الحديث أنّ التّوكيد إنكاريّا بـ إنّ واللاّم، لمناسبته لحال الظّالم عندما يرى نعم الله تعالى عليه فلسان حاله إنكاره بأنّ هذه النّعم إنّما هي استدراج وإمهال وإملاء[2]!

والخبر المجرّد من التّأكيد يقال له خبر ابتدائي أي مطلق والثّاني أي المؤكّد بتوكيد واحد يسمّى طلبيّا .لأنّ السّامع كأنّه طلب هذا التّأكيد بإنكاره وشكّه، فإذا ازداد هذا الشّكّ وأصبح إنكارًا لحقيقة الخبر يُسمى إنكاريًّا، لَمّا كان المطلوب منه وجوب تأكيده بالحروف لأجل إنكاره، وحينئذٍ يكون هذا التّأكيد واجبًا.

وأمّا إذا أُكِّدَ الكلام بتوكيدين فإنّه يكون توكيدًا حسنًا، وليس واجبا حين يكتفي بتوكيد واحد مع الشَّكّ[3] وإذا جاءت اللاّم مع "إنّ" كان بمنزلة تكرار الجملة ثلاث مرات، لأنَّ "إنَّ" أفادت التّكرير مرّتين؛ فإذا دخلت اللاّم صارت ثلاثًا.[4]

إذن فدخول هاته المؤكّدات على الجملة يزيد من تأكيد المعنى وتقريره، فكلّما زاد اللفظ زاد معه التّأكيد، وبالإضافة إلى المعنى الذي تفيده زيادة "إنّ" و "اللاّم" ، فهي تخرج إلى معانٍ أخرى منها المعنى الحجاجيّ أو الغرض الحجاجيّ، فما هو المعنى الحجاجيّ الذي تضيفه "إنّ" مع "اللاّم" في هذه السورة؟

سورة العلق: ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَىٰ * أَن رَّآهُ اسْتَغْنَىٰ * إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَىٰ * أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَىٰ * عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰ﴾.[5]

---

[1]- سورة هود، الآية 102.

[2]- أشرف حسن محمد حسن وعبير بنت علي أحمد الفيفي، البلاغة النبوية في كتاب التفسير من صحيح البخاري (علم المعاني)، ط1، 2016م، ص 27، 28.

[3]- محمد حسين أبو الفتوح، أسلوب التوكيد في القرآن الكريم، ص 132.

[4]- بدر الدين الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج2، ص 408.

[5]- سورة العلق، الآية: 6/ 10.

روي أن أبا جهل –لعنه الله– قال: هل يعفر محمّد –صل الله عليه وسلم– وجهه بين أظهركم؟ قالوا: نعم. قال: فوالذي يُحْلَف به لئن رأيته لوطئت عنقه! فجاءه ثم نكص على عقبيه –أي رجع– فقالوا له مالك يا أبا الحكم؟ فقال: إنَّ بيني وبينه لخندقٍ من نار وهول وأجنحة أي أراد هذا الملعون أنّه لم رأى محمدًا –صل الله عليه وسلم– يفعل ذلك –أي يصلي– أو لو رآه ساجدا ليعفرنّ وجهه بالتراب ويطأ عنقه! فأنزل الله تعالى هذه الآية الكريمة وما تلاها.[1]

تحمل هذه الآية ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَىٰ﴾[2] مفهومين؛ الأوّل معنى صريح يظهر من خلال سياقها العام أو المقام وهو طغيان الإنسان عندما يكون صاحب مال وجاه مثل ما حدث مع «أبي جهل وما قاله ناشئ عن طغيانه بسبب غناه»[3]، «وعن وهم الإنسان الاستغناء عن خالقه، إذ تأخذه العزّة بالإثم، ويفتنه ما اختصّ به من شرف العلم الكسبيّ فيغترّ ويطغى متجاوزًا قدره وموضعه ﴿أَن رَّآهُ اسْتَغْنَىٰ﴾ عن خالقه، وينسى أنّ مصيره إلى الخالق».[4] والثّاني المعنى الضّمني فيتمثّل في أنّ كل إنسان طاغي يكون منكر للموت والبعث والحساب والجزاء «وكان أبو جهل إذا أصاب مالا زاد في ثيابه ومركبه وطعامه وشرابه»[5] دفعه إلى النّهي عن عبادة الله والتّكبّر متناسيا حقيقة أنّ كل شيء مرجعه إلى الله و كما يثبت تعالى طغيان الإنسان وإنكاره فهو كذلك يصرّح بأنّ كل متجبّر وكل مستغنٍ عنه فإنّه مصيره إليه.

وتأكيد الخبر بحرف التّأكيد ولام الابتداء لقصد زيادة تحقيقه لغرابته حتى كأنّه ممّا يتوقّع أن يشكّ السّامع فيه[6]، وأيضا «التّأكيد بأنّ مراعى فيه المعنى التّعريضي لأنّ معظم الطّغاة ينسون هذه

[1]– بهجت عبد الواحد الشيخلي، بلاغة القرآن الكريم في الإعجاز، مكتبة دنديس، عمان، ط1، 2001م، مج10، ص 657.

[2]– سورة العلق، الآية: 6.

[3]– محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج30، ص 444.

[4]– عائشة عبد الرحمان بنت الشاطئ، التفسير البياني للقرآن الكريم، دار المعارف، القاهرة، ط5، 1968م، ج2، ص 25.

[5]– عبد القادر حسين، البلاغة القيمة لآيات القرآن الكريم "جزء عمّ"، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، (د. ط)، 1998م، ص 125.

[6]– محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج30، ص 444.

الحقيقة وينزّلون منزلة من ينكرها».[1]

والخطاب هنا جاء بالتّعريض وليس بتوجيهه مباشرة، إذ جاء الخطاب حاملاً لنظريّتين: أوّلهما مصرّح بها ينطق بها التّوكيد أي تظهر من خلال البناء الخارجي للكلام، وتكون درجة الحجاج فيها ضعيفة، والثّانية ضمنيّة تفهم مباشرة من التّوكيد ومدارها إجمالاً على تذكير الخصوم —الطّغاة— بأنّه يوجد يوم للحساب والبعث وأنّهم سوف يطغوا ويتجبّرون وينكرون نعم الله إلا أنّهم في المقابل مردّهم إلى خالقهم، وتعتبر هذه النّظريّة الثّانية —الضّمنيّة— ذات درجة حجاجيّة عالية وما كانت لتكون كذلك لو جاء الكلام مصرّحًا بتذكير الخصوم تصريحًا مباشرًا.[2]

ب- القسم:

القسم أسلوب من أساليب توكيد الحكم وتثبيته وتقريره[3]، وقد لجأ القرآن إلى القسم متبعًا النّهج العربي في توكيد الأخبار به، لتستقرّ في النّفس، ويتزعزع فيها ما يخالفها، وإذا كان القسم لا ينجح أحيانًا في حمل المخاطَب على التّصديق، فإنّه كثيرًا ما يوهن في النّفس الفكرة المخالفة ويدفع إلى الشّكّ فيها، ويبعث المرء على التّفكير القويّ فيما ورد القسم من أجله أقسم القرآن بالرَّبّ، ولكنّه ذكره حينًا مضافًا إلى السّماء والأرض، فقال: ﴿فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ﴾[4] لما في هذه الإضافة من الإشارة إلى خضوع السّماء والأرض لأمره وفي ذلك تعظيم لشأنه وإيحاء بأنّ من كان هذا أمره لا يزج باسمه إلاّ فيما هو حقا لا مريّة فيه[5]، وقد أقسم الله تعالى بنفسه في سبعة مواضع وفي الباقي كله أقسم بمخلوقاته[6] كقوله: ﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ﴾.[7]

---

[1]- محمد الطاهر بن عاشور، المرجع السابق، ج30، ص 446.

[2]- ينظر: عبد الله صولة، الحجاج في القرآن، ص 272، 273.

[3]- حامد صادق قنيبي، المشاهد في القرآن الكريم دراسة تحليلية وصفية، مكتبة المنار، الزرقاء، الأردن، ط1، 1984م، ص 442.

[4]- سورة الذاريات، الآية: 23.

[5]- أحمد أحمد بدوي، من بلاغة القرآن، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة ،(د. ط)، 2005م، ص 132.

[6]- بدر الدين الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج3، ص 40.

[7]- سورة التين، الآية: 1.

كما أقسم برسوله –صل الله عليه وسلم– في موضع واحد في قوله تعالى: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾[1] وذلك تعظيمًا له ولقدره وتبيينًا لمكانته عنده.[2]

وهو أسلوب مكوّن من جملتين، الأولى: جملة القسم، والثّانية جوابه وامتزجت الجملتان حتى أصبحتا كالجملة الواحدة مثل الجملة المكوّنة من مبتدأ وخبر فجملة القسم بمثابة المبتدأ، وجملة الجواب بمثابة الخبر، ولذلك فإنّ جملة القسم وحدها لا تفيد، وإنّما تفيد إذا انضمّ إليها جملة الجواب ودورها في الكلام إشعار المخاطَب بأنّ جملة ستأتي بعدها في الكلام كما يُشعر بذلك المبتدأ، وأنّها ستتحقَّق. وجملة القسم هي جملة خبريّة، ولما جاءت توكيدًا للخبر (المقسم عليه) سُمِّيت قسمًا، وإن كان فيها إخبار، والمقسم به في جملة القسم هو كل اسم من أسماء الله وصفاته، ونحو ذلك مما يُعظّم[3]، يظهر أنّ للقسم فائدة التّوكيد في الكلام ، فما هو الوجه الحجاجيّ للقسم إضافة إلى تلك الفائدة ؟ وماهي أبعاده الحجاجيّة في هذه الآيات؟

سورة الشمس: ﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا * وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا * وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا * وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا * وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا * وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا * وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا * قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾.[4]

ووجه تسميتها بسورة الشَّمس ذكره الزركشي في البرهان وهو أنّ«العرب في الكثير من المسمّيات تأخذ أسماءها من نادر أو مستغرب يكون في الشّيء؛ من خلق أو صفة تخصّه أو تكون

[1]– سورة الحجر، الآية: 72.

[2]– ابن الناظم، المصباح في المعاني والبيان والبديع، تح: حسني عبد الجليل يوسف، مكتبة الآداب بالجماميز، ط1، 1989م، ص 262.

[3]– محمد حسين أبو الفتوح، أسلوب التوكيد في القرآن الكريم، ص 239، 240، 241.

[4]– سورة الشمس، الآية: 10/1.

معه أحكم أو أكثر أو أسبق لإدراك الرّائي للمسمّى، ويسمّون الجملة من الكلام أو القصيدة الطّويلة بما هو أشهر فيها وعلى ذلك جرت أسماء سور الكتاب العزيز».[1]

وقد أقسم القرآن في هذه الآيات بمصنوعات الله وكان في ذلك تنبيه إلى ما فيها من روعة تدفع إلى التّفكير في خالقها[2]، حيث يثير القسم في هذه الآيات النّفس لأقوى إحساسات الإعجاب بمدبّر هذا الكون، ومنظّم شؤونه هذا التّنظيم المحكم الدّقيق: شمس تبلغ أوج مجدها وجمالها عند الضّحى، وقمر يتلوها إذا غابت كأنّه يقوم مقامها في حراسة الكون وإبهاجه، ونهار يبرز جمال هذا الكوكب الوهّاج، ثم لا يلبث اللّيل أن يمحو سناه، وسماء أحكم بناؤها، وأرض انبسطت في سعة ونفس إنسانيّة عجيبة الخلقة يتسرّب إليها الهدى والضّلال في دقّة وخفاء ... كل ذلك يخلع على هذه الخلائق قيمة كبرى ويوجّه القلوب إليها تتملاّها، وتتدبّر لما لها من قدر، ولما لها من دلالة، حتى استحقّت أن يقسم بها الجليل العظيم[3]، فإذا قيل: كيف أقسم الله بالخلق، وقد ورد النّهي عن القسم بغير الله؟ أجيب بأوجه منها: إنّ العرب كانت تعظّم هذه الأشياء وتقسم بها فنزل القرآن على ما يعرفون.[4]

فالقسم هنا يثبت قضيّة ما وهي إثبات وتأكيد وحدانية الخالق وإفراده بالإلهيّة، إذ أقام الحجّة على المخاطَب وهو المتكبّر والجاحد لصنائع الله وبديعه وإلزامه بهاته الحجّة من خلال دفعه إلى التّدبّر في هذه الآيات «ومنه توجيه الملفوظ توجيها يحمل متلقّيه على تصديقه والاقتناع به»[5]،إذ جاء في القرآن الكريم لكمال الحجّة بالأدلّة القاطعة الشّاهدة على قدرته ووحدانيّته، وبالقسم حتى لا يبقى حجّة للجاحدين الكافرين في يوم القيامة.[6]

---

[1]- مصطفى مسلم، التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، كلية الدراسات العليا والبحث العلمي، جامعة الشارقة، الإمارات العربية المتحدة، ط1، 2010م، مج09، ص 141.

[2]- أحمد أحمد بدوي، من بلاغة القرآن، ص 132.

[3]- حامد صادق قنيبي، المشاهد في القرآن الكريم، دراسة تحليلية وصفية، ص 443.

[4]- مصطفى ديب البغا ومحي الدين ديب متو، الواضح في علوم القرآن، ص 209.

[5]- عبد الله صولة، الحجاج في القرآن، ص 321.

[6]- محمّد حسين أبو الفتوح، أسلوب التوكيد في القرآن الكريم، ص 239.

جاءت هذه الآيات المخبر عنها بالقسم لبيان قدرته جلّ وعلاّ وإحكامه في خلقه، وأنّه هو الواحد والقادر والأحقّ بالعبادة وكذلك مثّل طول المقسم به تمهيد وتوطئة لإقناع المخَاطَب وإرشاده إلى أن الإيمان بعجائب الخالق والتّيقّن من وحدانيته سبيل إلى فلاح النّفس —قد أفلح من زَكَّاها— وقد يظهر المقسم به وكأنّه زائد إلاّ أنّه من الناحية الحجاجيّة يمثّل المنتج للتصديق والإقناع من طرف المتلقي.

وقد جاء التّركيب هنا مكوّن من الجمل الاسميّة والتي تفيد الثّبات والدّوام، ومنه فإنّ القضيّة المطروحة هنا ثابتة لكونه سبحانه وتعالى هو الثّابت في صنعه وهو الأحد الصّمد لا إله غيره، وعليه فإسمية الجمل هنا زادت من شحن التّوجيه واثبات الحكم.

ج– القصر:

من أساليب توكيد الخبر وتقويته في النّفس: أسلوب القصر، وهو تخصيص شيء بشيء وحصره فيه بوسائل مخصوصة، تسمى هذه الوسائل طرق القصر وهي: النّفي والاستثناء، والحصر بإنّما، وتقديم ماحقّه التّأخير، والعطف بلا أو لكن أو بل.

والقصر إمّا حقيقيّ ويكون بحسب الحقيقة والواقع، وإما إضافيّ باعتبار الوصف أو بالإضافة أي: النّسبة إلى شيء معيّن، ولكونه إضافيّا –لا اعتبار للحقيقة فيه– فإنّه يُقسّم تبعًا لحال المخاطَب فهو إمّا قصر إفراد أو تعيين أو قلب، وتبعًا لهذا يكون القصر: إمّا قصر صفة على موصوف أو قصر موصوف على صفة.[1]

ومن أمثلة القصر بصيغة النّفي والاستثناء وقوع المقصور عليه بعد أداة الاستثناء، مثل: (ما طارقٌ إلا وزيرٌ) فقد قصر طارق، وهو الموصوف على الوزارة وهي الصفة[2]، ومثاله أيضا من الحديث النّبوي الشريف قوله صل الله عليه وسلم: «لَيْسَ أَحَدٌ يُحَاسَبُ إِلاَّ هَلَكَ» قصر حقيقيّ، فيه إثبات الهلاك على من يُناقش في حسابه، والنّجاة يومئذٍ مخصوصة لمن أوتي كتابه بيمينه،[3]ومثل قول الذبياني:

[1]– أشرف حسن محمد حسن وعبير بنت علي أحمد الفيفي، البلاغة النبوية في كتاب التفسير من صحيح البخاري (علم المعاني)، ص 75.

[2]– أيمن أمين عبد الغني، الكافي في البلاغة (البيان والبديع والمعاني)، دار التوفيقية للتراث، القاهرة، (د. ط)، 2011م، ص 409.

[3]– أشرف حسن محمد حسن وعبير بنت علي أحمد الفيفي، البلاغة النبوية في كتاب التفسير من صحيح البخاري (علم المعاني)، ص 75.

ولا عَيْبَ فيهم غَيْرَ أنَّ سُيُوفَهُمْ بهنّ فلولٌ منْ قرَاعِ الكتائبِ[1]

ومن مزايا القصر أنّه يقصد منه تمكين الكلام وتقريره في الذّهن وسبيله في هذا سبيل التّأكيد[2]، والأصل في القصر بالاستثناء مع النّفي أن يكون فيما يجهله المخَاطَب وينكره أو يشكّ فيه، وقد يكون في أمر معلوم للمُخَاطَب ولكنّه ينزّل منزلة المجهول عنده باعتبار مناسب[3]، وهذا ما ورد في الآية التالية:

سورة المطفّفين: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ * الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ * وَمَا يُكَذِّبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ * إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾.[4]

أخرج النّسائيّ وابن ماجة بسند صحيح عن ابن عباس قال: لما قدم النبي —صل الله عليه وسلم— المدينة كان أهلها من أبخس النّاس كيلاً ووزنًا فلمّا نزلت هذه السّورة الكريمة وما بعدها تابوا إلى ربّهم وأحسنوا الوزن والكيل بعد ذلك.[5]

تبدأ هذه الآيات بالوعيد للمكذّبين بالهلاك والدّمار، الذين يكذّبون بيوم الحساب والجزاء[6] وبين المكذّبين بيوم الدّين والمطفّفين عموم وخصوص وَجْهَيْ فمن المكذّبين من هم مطفّفون ومن المطفّفين مسلمون وأهل كتاب لا يكذّبون بيوم الدّين، فتكون هذه الجملة إدماجًا لتهديد المشركين المكذّبين بيوم الدّين وإن لم يكونوا من المطفّفين.

فالتّكذيب بيوم الجزاء هو منشأ الإقدام على السّيّئات والجرائم، ولذلك أعقبه بقوله: ﴿وَمَا يُكَذِّبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ * إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾.[7]

---

[1]- النابغة الذبياني، ديوان النابغة الذبياني، جمع وتقديم: عباس عبد الساتر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط3، 1996م، ص 32.

[2]- عبد المتعال الصّعيدي، البلاغة العالية، مكتبة الآداب، ط2، 1991م، ص 48.

[3]- المرجع نفسه، ص 53.

[4]- سورة المطففين، الآية: 13/10.

[5]- بهجت عبد الواحد الشيخلي، بلاغة القرآن الكريم في الإعجاز، ص 538.

[6]- محمّد علي الصابوني، صفوة التفاسير، دار القرآن الكريم، بيروت، ط4، 1981م، مج03، ص 532.

[7]- سورة المطففين، الآية: 12، 13.

وصيغة القصر من النّفي والاستثناء تفيد قصر صفة التّكذيب بيوم الدّين على المعتدين الآثمين الزّاعمين القرآن أساطير الأوّلين فهو قصر صفة على موصوف وهو قصر حقيقي لأنّ يوم الدّين لا يكذّب به إلاّ غير المتديّنين المشركون والوثنيّين وأضرابهم ممّن جمع الأوصاف الثلاثة، وأعظمها التّكذيب بالقرآن فإنّ أهل الكتاب والصّابئة لا يكذّبون بيوم الدّين، وكثير من أهل الشّرك لا يكذّبون بيوم الدّين مثل أصحاب ديانة القبط، فالذين يكذّبون بيوم الدّين هم مشركو العرب ومن شابههم مثل الدّهريين فإنّهم تحقّقت فيهم الصّفتان الأولى والثّانية وهي الاعتداء والإثم وهو ظاهر، وأمّا زعم القرآن أساطير الأوّلين فهو مقالة المشركين من العرب وهم المقصود ابتداء وأمّا غيرهم ممن لم يؤثر عنهم هذا القول فهم متهيّئون لأن يقولوه أو يقولوا ما يساويه، أو يؤوَّل إليه، لأنّ من لم يُعرَض عليهم القرآن منهم لو عُرِضَ عليه القرآن لكذّب به تكذيبًا يساوي اعتقاد أنّه من وضع البشر فهؤلاء وإن لم يقولوا القرآن أساطير الأوّلين فظنّهم في القرآن يساوي ظنّ المشركين فنزلوا منزلة من يقوله.[1]

يأتي التّوكيد بالقصر الحقيقيّ ليبطل ويهدم بعض معتقدات الخصوم التي من المحتمل أن تقع على ألسنتهم، من ذلك في جهة المفهوم من خلال الآيات ويظهر ذلك في هدم آرائهم —الخصوم— التي قد تجري بها ألسنتهم وتحصر صفة التّكذيب بيوم الدّين في غير ما نطق به القرآن، ويقول محمد الطّاهر بن عاشور هنا :«و لك أن تجعل القصر ادّعائيا ولا تلتفت إلى تنزيل من لم يقل ذلك في القرآن ومعنى الادّعاء أنّ من لم يؤثر عنهم القول في القرآن بأنّه أساطير الأوّلين قد جعل تكذيبهم بيوم الدّين كَلاَ تكذيبٍ مبالغة في إبطال تكذيب المشركين بيوم الدّين».[2]

ومنه فدور القصر مهمٌ جدًّا في هذا السّياق إذ أعطى توجيه واحد مخصوص للآية وهو أنّ التّكذيب بيوم الدّين يكون من طرف الحاملين للصّفات المذكورة- المعتدي والأثيم والزّاعم بأنّ القرآن من أساطير الأوّلين- فلو كان الكلام القرآني خال من القصر وتوكيده لكانت حجّيته ضعيفة، ويكون الكلام مصرّحًا به.

[1]- محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج30، ص 196، 197، 198.

[2]- المرجع نفسه، ص 198.

د- البدل:

البدل: تابع يدلّ على ذات المتبوع، أو جانب منه، أو ما يشمله، أو يغايره، وإعرابه كإعراب المبدل منه[1]، و القصد من البدل هو الإيضاح بعد الإبهام، وهذا هو ما يفيد البيان والتّوكيد.

أمّا إفادة البيان، فتظهر إذا قُلتَ مثلا: رأيت عمرًا أخاك أو أباك فقد بيّنت أنّك تُريد بِعَمْرو الأب لا غير، فجيء بالبدل للبيان ولرفع الخلط واللّبس.

وأمّا التّأكيد فلأنّه لرفع الاحتمال والتَّوهُّم، فإذا ما وُجِدت أسماء متعدّدة بهذا الاسم (عمرو) غير الأب تُوهِّم أن يكون واحدًا منهم فلمّا قيل: أبوك، رُفع هذا التَّوهُّم، وبهذا رفعت الإبهام وبيّنت وفي هذا تأكيد حيث بلغنا أنّه هو المقصود لذلك، فإنّه على نِيّة تكرار العامل وبهذا فإنّه قد كُرِّر الأوّل مرّتين للبيان والتّوكيد.

فالبدل جارٍ مجرى التّأكيد لدلالة الأوّل عليه بالمطابقة كما في بدل الكلّ، أو التّضمين كما في بدل البعض أو الالتزام كما في بدل الاشتمال.

وهذا هو معنى قول الزّمخشري في المفصلِ: «إنّما يُذكر الأوّل لِنَحْو من التَّوطئة، ولِيُفاد مجموعهما فَضْل وتبيين لا تكون في الإفراد».

وفي سورة الفاتحة: ﴿اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ* صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ﴾[2] فلو لم يُذكر الصِّراط الثّاني لم يشكّ أحد أن الصّراط المستقيم هو صراط الله، ولكنّه ذُكر ليفيد فضْل تمكُّن وتوكيد، إذ هو الأوّل بعينه وكُرِّر لغرض البيان والتّوكيد بمجموع الكلمتين (المبدل منه والبدل) وطريق إفادة التّأكيد بهذا البدل في الآية، وهو بدل البعض أنّ الكلمة (صراط) في الآيتين ذُكِرت مرّتين الأولى بالعموم والثّانية بالخُصوص[3]، وإذا كان البدل في هذا المقام غرضه التّأكيد فما هو غرضه الحجاجيّ في سورة البروج؟

---

[1]- عبد الله محمّد النقراط، الشامل في اللغة العربية، دار الكتب الوطنية، بنغازي، ليبيا، ط1، 2003م، ص 113.

[2]- سورة الفاتحة، الآية: 6، 7.

[3]- محمد حسين أبو الفتوح، أسلوب التوكيد في القرآن الكريم، ص 124، 125، 126.

سورة البروج: ﴿قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ* النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ* إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ* وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ﴾.[1]

ابتدأت أغراض هذه السّورة بضرب المثل للّذين فتنوا المسلمين بمكّة بأنّهم مِثلُ قوم فتنوا فريقا ممّن آمن بالله فجعلوا أخدودا من نار لتعذيبهم ليكون المثل تثبيتا للمسلمين وتصبيرا لهم على أذى المشركين وتذكيرهم بما جرى على سلفهم في الإيمان من شدّة التّعذيب الذي لم ينلهم مثله ولم يصدّهم ذلك عن دينهم.[2]

وقد لُعِنَ أصحاب الأخدود، وجمعه :أخاديد، وهي الحفير في الأرض، وهذا خبر عن قوم من الكفّار عمدوا إلى من عندهم من المؤمنين بالله عزّ وجلّ فقهروهم وأرادوهم أن يرجعوا عن دينهم فأبوا عليهم، فحفروا لهم في الأرض أخدودًا وأجّجوا فيه نار، وأعدّوا لها وقودًا يسعر لهبه، ثم أرادوهم فلم يقبلوا منهم، فقذفوهم فيها؛ ولهذا قال الله هذه الآيات.[3]

وجاء في الآية ﴿النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ﴾[4] بدل اشتمال من الأخدود؛ لأنّ الأخدود مشتمل على النّيران و ﴿ذَاتِ الْوَقُودِ﴾ وصف للنّيران بأنّها مشتعلة عظيمة تستعمل لها طأطأة. ويرتفع لهيبها بقدر ما وضعوا في الأخدود من حطب .[5]﴿النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ﴾ البدل يجعل للمنطوق من الكلام ضمنيّا يدعي المتلقي إلى الوقوع عليه واستخراجه بإعمال كفايته الأسلوبيّة و المنطقيّة، فيستخلص من (بنية البدل العميقة هنا) وهي أنّ نار هؤلاء عظيمة مشتعلة وملتهبة فهي في لهيبها لا تُضَاهَى، فهي نار ذات وقود ليس كمثلها نار.[6]

---

[1]- سورة البروج، الآية: 7/4.

[2]- محمّد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج30، ص 237.

[3]- ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، تح: سامي بن محمد السلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، ط2، 1999م، ج8، ص 366.

[4]- سورة البروج، الآية: 5.

[5] - عبد القادر حسين، البلاغة القيّمة لآيات القرآن الكريم "جزء عمّ"، ص 68.

[6]- ينظر: عبد الله صولة، الحجاج في القرآن، ص 328.

وأهمّ ما في لفظ "النّار" هنا من النّاحية الحجاجيّة بالإضافة إلى كونها تكرِّر المعنى فتؤكّده أنّها جاءت لفظًا ذا محتوى تقويمي إذ إنّها بصفة «التّكرير والتّقويم»[1] تكون ذا وظيفة توجيهيّة مضاعفة،وجاء المبدل منه —الأخدود— لفظا تقويميّا[2]أيضا أي أنّه يحمل في طيّاته معنى الاستهجان وذلك لتعظيم البدل —النّار— ففي هذه الآيات توعّد الله بإهلاك الكفّار الذين حاربوا دينه وحاربوا عباده المخلصين «فقال: ﴿قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ﴾[3]ثم فسّر الأخدود بقوله: ﴿النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ* إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ* وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ﴾[4] وهذا من أعظم ما يكون من التّجبّر وقساوة القلب لأنّهم جمعوا بين الكفر بآيات الله ومعاندتها، ومحاربة أهلها وتعذيبهم».[5]

ومنه قد جاء لفظ الأخدود مفسّرًا ومبيّنا ما بعده وهو "النّار" وفائدة هذا التّفسير المسبق أنّه وجّه هذه اللفظة —النّار— وهي البدل وتبعا لذلك وجّه بقيّة الملفوظ، وفائدة هذا التّبيين المقدَّم هو توجيه المتلقّين وهم هنا المسلمين بأنّ الله سيهلك كل من عذّبهم وكذلك الخطاب هنا موجّه إلى كفّار قريش حيث يتوعّدهم الله باللّعنة والعذاب كما لعن أصحاب الأخدود، فهنا تثبيت للمؤمنين وتصبيرهم وفي المقابل وعيد وتهديد لمشركي مكّة.

هـ– المفعول المطلق:

وهو المصدر؛ سمّي بذلك لأنّ الفعل يصدر عنه، ويسمّيه سيبويه الحدث والحدثان وربّما سمّاه الفعل، وينقسم إلى مبهم، نحو: ضربتُ ضربًا وإلى مؤقّت نحو: ضربتُ ضربةً وضربتين.

---

[1]– عبد الله صولة، المرجع السابق، ص 329.

[2]– ينظر: المرجع نفسه، ص 235.

[3]– سورة البروج، الآية: 4.

[4]– سورة البروج، الآية: 7/5.

[5]– عبد الرحمان بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمان في تفسير كلام المنّان، تح: عبد الرحمان بن مُعلاّ اللويحق، دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض ط2، 2002م، مج1، ص 1083.

والمصدر هو المفعول الحقيقيّ لأنّ الفاعل يحدثه ويخرجه من العدم إلى الوجود وصيغة الفعل تدلّ عليه والأفعال كلّها متعدّية إليه سواء كان يتعدّى الفاعل أم لم يتعدّاه، نحو: ضربتُ زيدًا ضربًا وقام زيد قيامًا وليس كذلك غيره من المفعولين.[1]

فإذا ما وُجِدَ الفعل مع المصدر في جملة أو عبارة، فإنّ الفعل أي الحدث كأنّه كُرِّر مرّتين أي ذُكِر الحدث مرّة في الفعل ومرّة أخرى في المصدر، وهذا التّكرار مُراد به التّوكيد.[2]

والمفعول المطلق يفيد ثلاثة أمور[3]:

الأوّل: توكيد الفعل: نحو قوله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾[4] فإنّ المراد من المصدر هنا هو توكيد الحدث بذكره مرّتين، فهو عوّض عن تكرار الفعل مرّتين، لأنّ الفعل يدلُّ على شيئين: الحدث والزّمان، والمراد توكيد الحدث وتقرير معناه، ولو ذُكِرَ الفعل لكان تكرارًا للجملة، إذ الفعل يحتاج إلى فاعل، وبهذا تكون الجملة هي التي كُرِّرت لا الفعل فقط، فجيء بالمصدر عوضًا عن هذا كلّه وعمَّا لا حاجة إليه في الكلام.

وفائدة التّوكيد به تظهر في الآية ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾[5] فإنّ المراد من الآية رَفْع التَّوهُّم عن الفعل وهو الحديث والكلام لأنَّه لما أُرِيد من الآية أنّ كلام الله حدث فِعْلاً وحقيقة قال: تكليمًا فدّل هذا على وقوع الفعل حقيقة.[6]

الثّاني: بيان النوع: ويقصد به المبيّن لنوع العامل نحو: انطلقتُ انطلاقًا سريعًا. ونحو قوله تعالى: ﴿فَأَخَذْنَاهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُقْتَدِرٍ﴾.[7]

---

[1]- ابن علي بن يعيش، شرح المفصل، ج1، ص 110.

[2]- محمّد حسين أبو الفتوح، أسلوب التوكيد في القرآن الكريم، ص 81.

[3]- نديم حسين وعكور، القواعد التطبيقية في اللغة العربية، مؤسسة بحسون للنشر والتوزيع، بيروت، ط2، 1998م، ص 241.

[4]- سورة النساء، الآية: 164.

[5]- سورة النساء، الآية: 164.

[6]- محمّد حسين أبو الفتوح، أسلوب التوكيد في القرآن الكريم، ص 81.

[7]- سورة القمر، الآية: 42.

الثّالث: بيان العدد: ويقصد به عدد العامل سواء كان العدد معلومًا أم مبهمًا، فالأوّل نحو: ضربتُه ضربتين[1]، وكقوله تعالى: ﴿فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً﴾.[2]

رأينا فيما سبق أنّ المصدر جيء به للتّوكيد، إلاّ أنّه في بعض السّياقات يتجاوز مهمّة التّوكيد. فما هو دور المصدر الحجاجي في سورة الطارق؟

سورة الطارق: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ۝ وَأَكِيدُ كَيْدًا ۝ فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا﴾.[3]

تتحدّث هذه الآية عن مشركي قريش الذين يحتالون بالمكر بالنبي —صل الله عليه وسلم— وذلك حين اجتمعوا في دار النّدوة، وتشاورا فيه في ليلة الهجرة، يريدون الفتك بالنبي —صل الله عليه وسلم— وأمّا عن الآية التي تليها —وَأَكِيدُ كَيْداً— أي: أجازيهم على كيدهم بالإمهال، ثم النّكال حيث أخذهم أخذ عزيز مقتدر، كقوله تعالى في سورة (القلم): ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾[4] قال أبو السّعود: «أي أقابلهم بكيد متين، لا يمكن ردُّه حيث أستدرجهم من حيث لا يعلمون هذا والكيد: الحيلة، والمكر، والخبث، والخداع، وهو بهذه المعاني مستحيل في حقّه تعالى، وإنّما هو هنا بمعنى: الجزاء، والعقاب، وإنّما ذكره بلفظ الكيد من باب المقابلة و هذا ما يسمّى عند البلغاء بالمشاكلة؛ أي: ذكر الله سبحانه جزاءهم وعقابهم من جنس صنيعهم».[5]

وفي هذه الآيات تهديد ووعيد للكافرين وبشارة للمؤمنين بأنّ الله معهم يدبّر أمرهم.[6]

وجملة (وَأَكِيدُ كَيْداً) تثبيت للرّسول —صل الله عليه وسلم— ووعد بالنّصر و (كَيْداً) مفعول مطلق مؤكّد لعامله وقُصِدَ منه مع التّوكيد تنوين تنكيره الدّال على التّعظيم.

---

[1]- فاضل صالح السامرائي، معاني النحو، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2000م، ج2، ص 151، 152.

[2]- سورة الحاقة، الآية: 14.

[3]- سورة الطارق، الآية: 17/15.

[4]- سورة القلم، الآية: 44.

[5]- محمد علي طه الدرة، تفسير القرآن العظيم وإعرابه وبيانه، مج10، ص 543، 544.

[6]- جعفر شرف الدين، الموسوعة القرآنية خصائص السور، مج10، ص 186.

والكيد: إخفاء قصد الضّرّ وإظهار خلافه، فكيدهم مستعمل في حقيقته، وأمّا الكيد المسند إلى ضمير الجلالة فهو مستعمل في الإمهال مع إدارة الانتقام عند وجود ما تقتضيه الحكمة من إنزاله بهم.[1]

يحصل بفضل التّوكيد بالمفعول المطلق مقتضى هو "حقيقة عقاب الله للكافرين" وليس الغرض من المفعول المطلق التّوكيد فقط (وَأَكِيدُ كَيْداً) حيث أُكِّد هذا الأخير بالمصدر وذلك من فرط عقاب الله فالتّوكيد هنا توكيد للمنطوق الذي يؤدّي إلى إنتاج بمقتضى-حقيقة عقاب الله للكافرين- ولولا هذا المصدر الذي جيء به لتوكيد عامله لما حصل مقتضى وجودي ذلك أنّ اكتفاءنا بقول: (أكيد) دون ذكر المصدر —كيدا— المؤكِّد لعامله من الفعل لا يؤدّي إلى ظهور ذلك المقتضى الوجودي الذي من شأنه أن يفيد حقيقة وجود (العقاب)، والدّليل على ذلك أنّ عرض هذا القول على النّفي والاستفهام:

– لن نعاقبهم.

– هل سنعاقبهم؟

في حين أنّ إدخال كيدًا —المفعول المطلق— على القول (أكيد) يجعل للفعل فيه مقتضى "حقيقة عقاب الله للكافرين" فات أوان نفيه والاعتراض عليه. فقد جاء المفعول المطلق يقي المقتضى من هذا الفعل إمكان أن يُنفَى أو يُدحَض أو يُعترَض عليه.[2]

فلفظ كيدًا هنا عمل على التّأجيل بإنتاجه حقيقة عقاب الله للكافرين لحظة إنكارهم آيات الله ومحاولتهم الفتك بالنبي —صل الله عليه وسلم— فقد أُزِيلَ هذا الإنكار ولو بالشّيء القليل من خلال المقتضى —حقيقة العقاب— الذي أنتجه المفعول المطلق (كيدًا).

[1]- محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج30، ص 268.

[2]- ينظر: عبد الله صولة، الحجاج في القرآن، ص 311، 312.

و– العطف:

من ذلك ذكر الخاص بعد العام: فيؤتى به معطوفًا عليه بالواو للتّنبيه على فضله؛ حتّى كأنّه ليس من جنس العام؛ تنزيلاً للتّغاير في الوصف منزلة التّغاير في الذّات، وعلى هذا بنى المتنبي قوله:

فإنْ تَفُقِ الأَنَامَ وَأَنْتَ مِنْهمْ فإنَّ المسكَ بعضُ دَمِ الغَزَالِ[1]

وحكى الشيخ أثير الدّين عن شيخه أبي جعفر بن الزّبير أنّه كان يقول: إنّ هذا العطف يسمّى بالتّجريد، كأنّه جُرّد من الجملة وأفرد بالذّكر تفصيلاً.[2]

ومن أمثلته قوله تعالى: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ والصَّلَاةِ الْوُسْطَى﴾[3] وقد خصَّ "الصلاة الوسطى" وهي صلاة العصر لزيادة فضلها[4]، وقوله أيضا: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ﴾[5] وخصّ جبريل بالذّكر ردًّا على اليهود في دعواهم عداوته وضمّ إليه ميكائيل؛ لأنّه ملك الرّزق الذي هو حياة الأجساد، كما أنّ جبريل و ميكائيل لما كانا أميريْ الملائكة لم يدخلا في لفظ الملائكة أوّلاً.[6]

فهذا النّوع من العطف يعمل على توكيد الكلام حيث يذكر الشّيء الخاص أوّلاً داخلاً في المفهوم العام، ثم يذكره ثانيًا وحده تعظيمًا له، وكذلك توجيهه لتنبيه السّامع وعليه فأين تكمن حجاجيّة العطف في هذه الآية؟

---

[1]– أبو الطيب المتنبي، ديوان المتنبي، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، د ط، 1983م، ص 268.

[2]– بدر الدين الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج2، ص 465.

[3]– سورة البقرة، الآية: 238.

[4]– أحمد مطلوب، أساليب بلاغية، وكالة المطبوعات، الكويت، ط1، 1980م، ص 233.

[5]– سورة البقرة، الآية: 98.

[6]– جلال الدين السيوطي، معترك الأقران في إعجاز القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1988م، مج1، ص 271.

سورة القدر: ﴿تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ * سَلَامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾.[1]

يرجع سبب نزول هاته السّورة في ما أورده الواحدي:« أخبرنا أبو بكر التّميميُّ، أخبرنا عبد الله بن حِبَانَ، وحدّثنا أبو يحي الرّازيّ، حدّثنا سهل العسكريُّ، حدّثنا يحي بن زائدة، عن مسلم، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قال: ذكر النّبي —صل الله عليه وسلم— رجلا من بني إسرائيل لبس السّلاح في سبيل الله ألف شهر، فتعجّب المسلمون من ذلك فأنزل الله تعالى هذه السّورة».[2]

ومعنى الآية: أي يكثر تنزُّل الملائكة في هذه اللّيلة لكثرة بركتها، والملائكة يتنزّلون مع تنزُّل البركة والرحمة كما يتنزّلون عند تلاوة القرآن ويحيطون بحِلَق الذّكر، ويضعون أجنحتهم لطالب العلم بصدق تعظيمًا له و أمّا الرّوح فقيل: المراد به هاهنا جبريل -عليه السّلام- فيكون من باب عطف الخاص على العام[3]، أي بمنزلة ذكر الشّيء الواحد مرّتين أو أكثر، ويظهر البعد الحجاجي التوجيهي الكامن في المركّب العطفي في الواو تحديد القائم عليها هذا المركّب، فهذه الواو هي بمنزلة قولنا "أخصّ بالذّكر كذا" ويكون عنصر "كذا" هذا قد تكرّر ذكره: مرّة بالتّعميم فهو من عموم المعطوف عليه ومرّة بالتّخصيص في المعطوف[4]، وفي هذه الآية ﴿تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا﴾[5] بمعنى تنزّل الملائكة وأخصّ بالذّكر الرّوح أي جبريل لبيان شرفه وتعظيما له، فذكر مرّتين مرّة حين دخل في الملائكة ومرّة ذُكر منفردًا وهذه الآية مستأنفة لبيان السّبب الذي فُضّلَت من أجله ليلة القدر على غيرها و كأنّ سائلاً يسأل لمَ فُضّلت ليلة القدر على غيرها؟ ولما كانت خيرًا من ألف شهر؟ كان الجواب: لأنّ الملائكة وجبريل ينزلون فيها على الخلق بإذن ربّهم.[6]

---

[1]- سورة القدر، الآية: 4، 5.

[2]- أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي، أسباب نزول القرآن، تح: كمال بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1991م، ص 486.

[3]- ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج8، ص 444.

[4]- عبد الله صولة، الحجاج في القرآن، ص 332، 333.

[5]- سورة القدر، الآية: 4.

[6]- عبد القادر حسين، البلاغة القيمة لآيات القرآن الكريم «جزء عمَّ»، ص 131.

ومنه فالنّاظر هنا إلى هذا العطف "والرّوح" يرى وكأنّه زيادة في المعنى لا أكثر إلاّ أنّ هذه الزّيادة تحمل بعد حجاجي من خلال توجيه المقول والقول معًا، ويظهر ذلك في أنّ نزول الملائكة وبالأخصّ جبريل –عليه السّلام– في هذه اللّيلة المباركة ما هو إلاّ زيادة في بيان فضلها على العباد، وكذلك دعوة وتحريض من الله إلى المسلمين وتوجيههم إلى العمل الصالح فيها.

2– حجاجية التّوكيد بين الجمل ب:

أ–التّكرار (المعنوي):

هو أن يأتي المتكلِّم بلفظ ثم يعيده بعينه، سواء أكان اللفظ متفق المعنى، أم مختلفًا أو يأتي بمعنى ثم يعيده.[1] وهو ينقسم إلى قسمين: أحدهما يوجد في اللفظ والمعنى، والآخر يوجد في المعنى دون اللّفظ فأمّا الذي يوجد في اللّفظ والمعنى كقولك لمن تستدعيه: أسرِع أسرِع، ومنه قول أبي الطّيّب المتنبّي:

و لم أَرَ مِثْلَ جِيرَانِي و مِثْلِي لِمِثْلِي عِنْدَ مِثْلِهِمْ مُقَامُ[2]

وأمّا الذي يوجد في المعنى دون اللّفظ كقولك: أطعني ولا تعصني، فإنّ الأمر بالطّاعة نهي عن العصيان[3]، والفائدة في ذلك تثبيت الطّاعة في نفس المخَاطَب،[4] ومثله قوله تعالى: ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ * فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ * إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾[5] وهذه الجملة ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾[6] تتنزّل منزلة المؤكِّدة لجملة ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ﴾[7] وتظهر فائدة هذا التّكرير في زيادة التّمعّن في

[1]– السيد جعفر السيد باقر الحسيني، أساليب المعاني في القرآن، مؤسسة بوستان كتاب، ط1، 2007، ص 495.

[2]– أبو الطيب المتنبي، الديوان، ص 102.

[3]– ابن الأثير، المثل السائر، تح: محمّد محي الدين عبد الحميد، مطبعة مصطفى البابلي الحلبي وأولاده، مصر، (د. ط)، 1939م، ج2، ص 157، 158.

[4]– المرجع نفسه، ص 174.

[5]– سورة التكوير، الآية: 27/25.

[6]– سورة التكوير، الآية: 27.

[7]– محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج30، ص 165.

آيات الله. فلا يوجد تكرير بدون فائدة في كلامه عزّ وجلّ. حيث قال ابن الأثير: «فاعلم أنّه ليس في القرآن مكرّر لا فائدة في تكريره؛ فإنْ رأيت شيئا منه تكرّر من حيث الظّاهر فأنعِم نظرك فيه، فأنظر إلى سوابقه ولواحقه؛ لتنكشف لك الفائدة منه».[1]

سورة النبأ: ﴿رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَٰنِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا * يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾.[2]

يخبر سبحانه وتعالى في هذه الآيات عن عظمته وجلاله، وأنّه ربّ السموات والأرض وما فيهما ومابينهما، وأنّه الرّحمان الذي شملت رحمته كلّ شيء، كما أخبر في قوله تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾[3] لذا لا يقدر أحد من خلقه مهما كان على ابتداء مخاطبته إلاّ بإذنه سبحانه كلّ ذلك في ذلك اليوم، وهذا الأخير هو يوم البعث الذي أنكره الكافرون وتساءلوا عنه سؤال استهزاء وسخرية ، وكذلك ذكر ما يتعلّق بأمر الشّفاعة: ﴿يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾[4]، ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾،[5] واشترط لذلك شرطين:

- أن يكون المتكلّم مأذونا له في الكلام.
- وأن يتكلّم بالصّواب، فلا يشفع لغير مرتضى[6] ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ﴾.[7]

[1] -ابن الأثير ، المثل السائر ، ج2، ص 160.
[2] - سورة النبأ، الآية: 37، 38.
[3] - سورة الأعراف، الآية: 156.
[4] - سورة هود، الآية: 105.
[5] سورة البقرة، الآية: 255.
[6] - مصطفى مسلم، التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، مج09، ص 16، 17.
[7] - سورة الأنبياء، الآية: 28.

وفي هذه الآيات ورد التّكرار المعنوي حيث جاءت الجملة المنفيّة بحرف اللاّم "لا يتكلّمون" جملة مؤكّدة للجملة التي قبلها وهي "لا يملكون منه خطابًا"، وورد ذلك على نحو ما جاء به ابن عاشور «وجملة "لا يتكلّمون" مؤكّدة لجملة "لا يملكون منه خطابًا" أُعيدَت بمعناها لتقرير المعنى إذ كان المقام حقيقا، فالتّقرير لقصد التّوصّل به إلى الدّلالة على إبطال زعم المشركين شفاعة أصنامهم لهم عند الله».[1]

فجملة "لا يتكلّمون" لا تؤكّد منطوق جملة "لا يملكون منه خطابًا" وإنّما هي توكيد لمفهومها أي أنّها تؤكّد المفهوم المستنتج منها ومن الناحية الحجاجيّة فإنّ الأمر لا ينحصر في كونه توكيد فقط وآية ذلك أن جملة "لا يملكون منه خطابًا" تحمل مفاهيم عدّة محتملة ومن هذه المفاهيم التي تكون لهذه الجملة في نطاق خطاب المتلقّين من المشركين: (إذن هم يستطيعون التّحدث إليه، يستطيعون مخاطبته بدون إذن .....) وغيرها من المفاهيم التي بناها المشركين لشفاعة أصنامهم لهم عند الله ومن ضمن هذه المفاهيم كان مفهوم "يتكلّمون" إذن فجملة "لا يتكلّمون إلاّ من أذن لهم الرّحمان وقال صوابا" تحمل وظيفتين حجاجيّتين: الأولى إظهار المفهوم من الجملة التي قبلها —لا يملكون منه خطابا— وإقصاء المفاهيم المحتملة الأخرى، وهي (يستطيعون التّحدث إليه ....) التي يزعمها المشركين ،والثّانية تأكيد المفهوم وذلك بإظهاره وإفصاحه بعد أن كان مشارًا إليه فقط في ثنايا الجملة الأولى —لا يملكون منه خطابا— ومنه فإنّ النّطق بالجملة الثّانية (لا يتكلمون...) والتّصريح بها من شأنهما أن يبطلا زعم المشركين وهي «دلالة بطريق الفحوى فإنّه إذا نفي تكلّمهم بدون إذن نفيت شفاعتهم إذ الشّفاعة كلام من له وجاهة وقبول عند سامعه».[2]

ب– التّذييل:

وهو أن يؤتى بجملة عقب جملة، والثانية تشتمل على معنى الأولى؛ لتأكيد منطوقه أو مفهومه؛ ليظهر المعنى لمن لا يفهمه، ويتقرّر عند من فهمه[3]، وهو قسمان:

[1]– محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج30، ص 51.

[2]– المرجع نفسه، ج30، ص 51.

[3]– جلال الدين السيوطي، معترك الأقران في إعجاز القرآن، مج1، ص 279.

القسم الأوّل: يجري مجرى المثل لاستقلاله بمعناه وشيوع استعماله، كقوله سبحانه: ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾[1] فقوله سبحانه ﴿إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ تذييل مستقلّ بمعناه جارٍ مجرى المثل، وقد جيء به تأكيدًا لمفهوم ما قبله ومنه في الشّعر قول النّابغة:

ولسْتَ بمُسْتَبْقٍ أخًا لاَ تلُمهُ على شَعَثٍ، أيّ الرِّجالِ المهذَّبُ[2]

دلّ صدر البيت على نفي وجود الكامل من الرّجال، وأنّ الإنسان لا يستطيع الاحتفاظ بصديقه إلاّ بقبول ما فيه من عيوب ونقائص، وجاء عجز البيت ليحقّق هذا ويقرّره؛ فأيّ الرّجال الخالص من كلّ العيوب.

القسم الثّاني: لا يجري مجرى المثل، حيث لا يستقلّ بمعناه بل تتوقّف دلالته على ما قبله، كقول سبحانه: ﴿ذَلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ﴾[3]، أفاد مطلع الآية الكريمة أنّ هذا الجزاء سببه كفرهم، ومن ثمّ فقوله سبحانه :﴿وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ﴾ تذييل أُريد منه تأكيد مدلول الجملة السّابقة وهو لا يجري مجرى المثل؛ لأنّه يعتمد في دلالته على ما قبله، ومعناه على هذا: وهل يجازى ذلك الجزاء هذا في أحد رأيين.[4]

وقد ورد التّذييل في القرآن الكريم في مواضع كثيرة يحمل دلالات حجاجيّة، ومنها ما يرد في السّورة الآتية:

[1]- سورة الإسراء، الآية: 81.

[2]- النابغة الذبياني، الديوان، ص 28.

[3]- سورة سبأ، الآية: 17.

[4]- عيسى علي العاكوب وعلي ساعد الشيتيوي، الكافي في علوم البلاغة العربية المعاني – البيان – البديع، دار الهناء، بنغازي، ط1، 1993م، ص 338، 339.

سورة الانفطار: ﴿وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ * يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الدِّينِ * وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ * ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ * يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ﴾.[1]

من تدبّر آيات هذا المقطع يجد فيها تهويلاً لشأن يوم القيامة والحساب والجزاء، أي أنّ شأن ذلك اليوم عظيم أيّها الإنسان لا تستطيع إدراكه، ولذلك أنت تتهاون في الاستعداد له، في ذلك اليوم الشّديد لا تستطيع نفس أن تنفع نفس بشيء، ولا أن تدفع عنها شيئا حتى الشّفاعة التي يرجوها الخلق يومئذ ممّن له الشّفاعة فإنّها لا تكون إلاّ بإذن الله؛ لأنّ الأمر في ذلك اليوم لله وحده، لا لغيره لا في الظّاهر و لا في الباطن، على خلاف ما في الدّنيا من توهُّم أنّ لغيره تعالى أمرًا في الظّاهر.[2]

نجد في جملة التّذييل "والأمر يومئذ لله" من الممكن أن تنشأ عنها مفاهيم عدة بالاعتماد على معنى "يومئذ" في هذا السّياق وهو يوم القيامة هو يعرف كلّ امرئ ما عمل ومن هذه المفاهيم:

– إذن هو المتصرّف والعالم بكلّ شيء.

– إذن الحكم كلّه له.

– إذن الملك كلّه له لا لغيره، وهذا مفاد ما جاء قبل في الجملة الأصليّة وهو أنّ النّفس لا تملك لنفس شيئا من النّفع وعلى هذا يمكن أن نعتبر التّذييل متضمّنا معنى الجملة الأصليّة بوجه من الوجوه على نحو يبدو معه مضمون الجملة الأولى قد تكرّر مرّتين مرّة بالمطابقة ومرّة بالتّضمّن، فإنّ التّذييل جاء توكيدًا بالتّضمّن أو المفهوم ذلك أنّ جملة التّذييل تفهمنا معنى الجملة الأصليّة فهي تتضمّنه وتزيد عليه.

فقوله ﴿وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ﴾[3] تذييل أي والأمر في ذلك اليوم لله وحده لا ينازعه فيه أحد أي هو ذلك اليوم الرّهيب الذي لا يستطيع أحد أن ينفع أحد بشيء من الأشياء ولا أن يدفع عنه ضرًّا.

[1]– سورة الانفطار، الآية: 19/14.

[2]– مصطفى مسلم، التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، مج09، ص 61.

[3]– سورة الانفطار، الآية: 19.

وهو ما يُفهَم منه أنّ المعنى الحاصل في التّذييل هو من العموم والشّمول بحيث يشتمل على المعنى الوارد في الجملة المذيّلة —وما أدراك ما يوم الدّين ثمّ ما أدراك ما يوم الدّين يوم لا تملك نفس لنفس شيئا— وهكذا يكون مضمون الجملة التي تسبق التّذييل ممّا لا مِرَاء في إمكان حصوله وتحققه، ومعنى ذلك أنّ دلالة المفهوم أو دلالة التضمّن في جملة التّذييل داعمة في ذهن المتلقّي دلالة المنطوق الحاصلة من الجملة الأصليّة.[1]

يظهر التّذييل من النّاحية الحجاجيّة من خلال عدّة وجوه حين تكون الجملة الأصليّة من الخاصّ وبمنزلة القضيّة أو الدّعوى، والجملة المذيّلة من العام بمثابة الحجة والبيّنة.[2]

فالقضيّة المعروضة هنا هي إثبات يوم البعث وإنذار النّاس بأن لا يحسبوا شيئا ينجيهم من جزاء الله وعقابهم إيّاهم على سّيء أعمالهم وأمّا الحجّة القائمة على هذه القضيّة هي جملة (والأمر يومئذ لله) وهي جملة التّذييل، ويظهر من هذا التّرابط بين الجملة الأصليّة وجملة التّذييل كيفيّة طرح الحجّة وبسطها وإقامتها على المتلقّين من المنكرين الذين هم المشركون.

تظهر جملة التّذييل كأنّها حشوًا وزيادة على تركيب ومعنى الجملة إلاّ أنّ هذه الزّيادة تأكّد المعنى وتدفع بالمتلقّي إلى التّسليم بالدّعوى، فالتّذييل يدفع بالمخَاطَب إلى الاستنتاج والاسترسال في القضيّة وصولاً إلى تثبيتها في نفسه والإقرار بها.

ج– الاعتراض:

وأسماه قُدامه: "التفاتًا"، وهو أن يؤتى في أثناء كلام أو كلامين متّصلَيْن معنى، بشيء يتمّ الغرض الأصلي بدونه، ولا يفوت بفواته، فيكون فاصلا بين الكلام والكلامين، لنكتة.

وقيل: هو إرادة وصف شيئين: الأوّل منها قصدًا، والثّاني بطريقة الانجرار؛ وله تعلّق بالأوّل بضرب من التّأكيد.[3]

ومن أغراض هذا الاعتراض:

[1] – ينظر :عبد الله صولة ،الحجاج في القرآن ،ص 374، 375، 376.

[2]– المرجع السابق، ص 359.

[3]– بدر الدين الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج3، ص 56.

– **التّنزيه:** كما في قوله سبحانه: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ﴾.[1] قوله "سبحانه" اعتراض جيء به في تضاعيف الكلام لقصد تنزيهه تعالى عمّا يقولون.

– **الدّعاء:** كما في قول عوف بن الشّيباني يشكو كبره وضعفه:

إنّ الثمانين –وبُلِّغتها– قدْ احوجّتْ سَمْعي إلى تَرْجُمانِ

ترجمان: مفسّر ومكرّر، وقوله: (وبُلِّغتها) اعتراض في تضاعيف الكلام؛ قصدًا إلى الدُّعاء لمخاطِبِه أن يوصله البارئ سبحانه إلى سنّ الثّمانين التي بلغها الشّاعر.

– **التّهويل:** كقوله سبحانه: ﴿وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾[2] قوله سبحانه (لو تعلمون) اعتراض جيء للتّهويل وإعلاء شأن القسم.[3]

إنّ الجملة الاعتراضيّة من النّاحية النّحوية لا محلّ لها من الإعراب، وتظهر أنّها زائدة على المعنى إلاّ أنّها تمثّل ركنًا أساسيّا في الكلام من النّاحية الدلاليّة، ويظهر ذلك في سورة البلد، فما الوجه الحجاجي فيها؟ وفيما تكمن بلاغتها؟

سورة البلد: ﴿لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ * وَأَنتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ * وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ * لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي كَبَدٍ﴾[4].

يقسم الحقّ تبارك وتعالى بمكّة البلد الحرام التي يحلّ بها المصطفى –صل الله عليه وسلم– وقت تنزّل هذه السّورة، والقسم بمكّة دليل على عظمتها، وحلول النّبي –صل الله عليه وسلم– يزيدها عظمة، وذكر حلوله يزيد القسم أهمّية وتوكيدًا، كما يقسم جلّ في علاه بآدم وما ولد من ذكر وأنثى، وعرب وعجم، وبيض وسود، والقسم بآدم وذرّيته لأنّهم أعجب ما خلق الله على وجه الأرض لما فيهم من البيان والعقل والتّدبير، وفيهم الأنبياء والعلماء الصّالحون، أمّا المقسم عليه فإنّ الإنسان خلق في عناء ومشقّة يكابد مصائب الدّنيا وشدائد الآخرة، وفي هذا القسم ما يضع الإنسان –وهو

[1]– سورة النحل، الآية 57.

[2]– سورة الواقعة، الآية: 76.

[3]– عيسى علي العاكوب و علي ساعد الشيتيوي، الكافي في علوم البلاغة العربية المعاني، البيان، البديع، ص 339، 340، 341.

[4] – سورة البلد، الآية: 4/1

ذو الكرامة عند الله تعالى— أمام قدره ليكون مستعدّا للابتلاء والامتحان، غير غافل عمّا يقتضيه امتحانه من مجاهدة ومجالدة.[1]

تشتمل الآيات السّابقة على جملة معترضة وهي «وَأَنتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ»[2]، حيث تظهر هذه الجملة من النّاحية النّحويّة التّركيبيّة زائدة على المعنى و لا تؤدّي أيّ وظيفة إلاّ أنّها من النّاحية الدّلاليّة تسهم في اِلتحام المعنى و اتّساقه ومن النّاحية الحجاجيّة يكون الاعتراض في الجملة مداره على محور إحقاق الحقّ حيث يرد في صيغة التّكامل «فالجملة المعترضة علاوة على كونها قد تأتي لتؤكّد بشكل صريح المعنى الحاصل في الجملة الأصليّة فإنّها قد تأتي لتعلّل وإن بطريقة غير مباشرة وغير صريحة معنى الجملة الأصليّة».[3]وتربط بين الجملة المعترضة والأصليّة بعلاقة سببيّة،فجملة (ولا أقسم بهذا البلد) بمثابة النّتيجة لجملة السّبب المعترضة وهي (وأنت حل بهذا البلد) ، «وعلى هذا تبدو الجملة المعترضة في مواضع كثيرة من القرآن ركنًا أساسيّا في الكلام من النّاحية الحجاجيّة».[4]

وتأتي الجملة المعترضة ذات وظيفة حجاجيّة وهي دعم القضيّة المطروحة، وفي هذا المقام جاءت جملة (وأنت حل بهذا البلد) تثبيت للرّسول —صل الله عليه وسلم— وبعث على احتمال ما كان يكابد من أهل مكّة وتعجيب من حالهم في عداوته، أو سلى رسول الله —صل الله عليه وسلم— بالقسم ببلده، حيث إنّ الإنسان لا يخلو من مقاساة الشّدائد، فالقسم بالبلد الحرام وهو القضيّة المطروحة تعظيما له —البلد الحرام— حيث أقسم الله تعالى به وما بعده على أنّ الإنسان خلق مغمورًا في مكابدة المشاق والشّدائد ويعني ومن المكابدة أنّ مثلك على عظم حرمتك يستحل بهذا البلد الحرام كما يستحلّ الصّيد ويعضدوا بها شجرة ويستحلّون إخراجك وقتلك[5]،فالخطاب هنا للّرسول —صل الله عليه وسلم— والمقصود من هذا الاعتراض في التّعجيب منه مضمون الجملة وعليه

[1]– مصطفى مسلم، التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، مج09، ص 315، 316.

[2]– سورة البلد، الآية: 2.

[3]– عبد الله صولة، الحجاج في القرآن، ص 358.

[4]– مصطفى مسلم، التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، مج09، ص 357.

[5]– أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تح: عادل أحمد عبد الوجود، مكتبة العبيكان، الرياض، ط1، 1998م، ج6، ص 375.

فالإخبار عن ذات الرسول –صل الله عليه وسلم– بوصف (حلّ) يقدّر فيه مضاف يعيّنه ما يصلح للمقام أي وأنت حلال منك ما حرّم من حقّ ساكن هذا البلد من الحرمة والأمن، والمعنى التّعريض بالمشركين في عدوانهم وظلمهم الرسول –صل الله عليه وسلم– في بلد لا يظلمون فيه أحدًا.[1]

وعليه فالجملة المعترضة تدعيم وإثبات للقسم بالبلد الحرام الذي ورد في الجملة الأصليّة لفضله عن سائر البلدان وما زاد فضل هذا البلد هو حلول النّبي –صل الله عليه وسلم– بها وفي ذلك تعريض بكفّار مكّة حيث قرّروا إخراج رسول الله منها بجهلهم بقدر مكانته حيث دعاهم إلى الإيمان.[2]

نستنتج ممّا سبق أنّ وسائل التّوكيد الدّاخلة على الجملة أو التي تكون بين الجمل ذات دلالات حجاجيّة إذ توجّه القول إلى وجهته الحقّة، وتجعل المتلقّي في حالة القبول والأخذ بهاته الأقوال، والتّنوع في هذه التّوكيدات في الخطاب القرآني يحمل معاني كثيرة، تارة يأتي الخطاب الحجاجيّ القرآنيّ بمؤكّداته يدعم قضيّة ما تتمثّل في بيان وحدانية الله تعالى وقدرته، وبيان أنّ القرآن هو كلام المولى عزّ وجلّ وكذلك الدّفاع عن العقيدة الإسلاميّة وعن الرّسل والرّسالة المحمّديّة وتارة لإبطال معتقدات خصوم القرآن ونفي آرائهم الكاذبة.

وعليه فإنّ هذه المؤكّدات التي تدخل على الجمل الاسميّة والفعليّة زيادة على تأكيدها فإنّها توجّهها إلى وجهة حجاجيّة ما، فزيادة هذه الوسائل ودخولها على التّراكيب تسهم في زيادة المعنى فدخول إنّ ولام الابتداء على الكلام ليس مؤدّاها دفع للإنكار أو الشّك فقط، بل تكون لغرض آخر مثلا تكون لهدم نظريّة ما تتمثّل في آراء ومعتقدات الخصوم الذين يتوجّه إليهم في الكلام القرآني أو يكونوا مذكورين فيه، إذ يأتي التّركيب منتجًا مفهومًا يهدم تلك النّظريّة فيكون هذا بالقصر والقسم والبدل .... وغيرها، وقد يكون لغرض بناء نظريّة تتمثّل في إثبات قدرة الله وكذلك ما تحمله الجمل التي تظهر حشوًا أو زيادة في الكلام إلاّ أنّها من النّاحية الحجاجيّة تكون بمثابة تأكيد للمعنى وتثبيته

[1]– عبد القادر حسين، البلاغة القيمة لآيات القرآن الكريم «جزء عمّ»، ص 100.

[2]– محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج30، ص 347.

وإقراره في النّفوس وهو ما تمثّله الجمل الاعتراضيّة والمكرّرة والمذيّلة أيضا ... وغيرها، وكذلك تكون لزيادة إنتاج الإقناع.

وعليه فإنّ كل هذه الوسائل تجعل الخطاب ظاهرًا وصريحًا بعد أن كان متضمّنًا في الكلام فهي توجّه الملفوظ وتجعل الخطاب ذا بعد موضوعي يدفع إلى التصديق في القضايا التي دار حولها النّزاع والتّناحر والخصومة في القرآن والمتمثّلة في البعث والحشر والعقاب والجنّة والنّار والرّسالة المحمّديّة وباقي الرّسل، إذ تقوم التّوكيدات على وظيفة حجاجيّة تتمحور على طرح المسائل على المتلقّي وفرض حقيقتها عليه على اعتبار أنّها قضايا غير قابلة للمجادلة.

ثانيا: الحذف في التّراكيب وأبعاده الحجاجيّة

1- مظاهر الحجاج في الحذف داخل الجملة بـ:

أ- الاختزال:

حذف كلمة أو أكثر، وهي إمّا اسم، أو فعل، أو حرف[1]، أو «حذف جملة»[2]، ومن أمثلته: حذف المفعول به في قوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا﴾[3] فلم يذكر مفعولا لفعل الأكل، لأنّه لا يتعلق غرض بذكره، ولو ذكره لكان السّامع يحسب أنّ عدم الجناح من حيث أكل ذلك الشّيء بعينه فلو قال مثلا: (ليس عليكم جناح أن تأكلوا اللحم جميعًا أو أشتاتا)، لفهم منه أنّه لو أكل غير اللّحم لكان عليه جناح.[4] ومن أمثلة حذف الجملة، حذف جملة جواب الشّرط و إنّما يحسن الحذف لقوّة الدّلالة عليه أو يقصد به تعديد أشياء فيكون في تعدادها طول وسامة فيحذف ويكتفي بدلالة الحال، وتترك النّفس تجول في الأشياء المكتفي بالحال عن ذكرها، ولهذا القصد يؤثّر في المواضع التي يراد بها التّعجب والتّهويل عن النّفوس ومنه قوله تعالى في وصف أهل

[1]- بدر الدين الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج3، ص 134.

[2]- عبد الرحمان حسن حبنّكة الميداني، البلاغة العربية، أسسها وعلومها وفنونها، دار القلم ، دمشق ،ط1، 1996م، ص 57.

[3]- سورة النور، الآية: 61.

[4]- فاضل صالح السامرائي، معاني النحو، ج2، ص 95.

الجنّة: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا﴾[1] فحذف جواب إذا كان وصف ما يجدونه ويلقونه عند ذلك لا يتناهى، فجعل الحذف دليلا على ضيق الكلام عن وصف ما يشاهدونه، وتركت النّفوس تقدر ما شاءته، ولا تبلغ مع ذلك كنه ما هنالك، وكذا قوله: ﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ﴾[2] أي لرأيت أمرًا فظيعا لا تكاد تحيط به العبارة.[3]

وهناك أمثلة كثيرة للحذف تحمل معانٍ ضمنيّة ذات دلالات وطاقات حجاجيّة، سنوردها فيما يلي:

- حذف الفاعل والبناء للمجهول:

سورة الزلزلة: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا * وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا * وَقَالَ الْإِنسَانُ مَا لَهَا﴾.[4]

يخبر الله تعالى في هذه السّورة عمّا يكون يوم القيامة، وأنّ الأرض تتزلزل وترجف وترتجّ، حتّى يسقط ما عليها من بناء وعلم[5]،ونزلت كما ورد عند الواحدي في أسباب النّزول: أخبرنا أبو منصور البغداديّ ومحمد بن إبراهيم المزكّي، قالا: أخبرنا أبو عمرو بن مطر، حدّثنا إبراهيم بن علي الذُّهليُّ يحي بن يحي، أخبرنا عبد الله بن وهب، عن حُيَيَّ بن عبد الله ،عن أبي عبد الرّحمان الحُبُليّ، عن عبد الله بن عمرو، قال: نزلت: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾[6] وأبو بكر الصّدّيق –رضي الله عنه– قاعدٌ فبكى أبو بكر، فقال له رسول الله –صل الله عليه وسلم– ما يُبْكيك يا أبا بكر؟ قال: أبكاني

[1]– سورة الزمر، الآية 73.

[2]– سورة الأنعام، الآية: 27.

[3]– فاضل صالح السامرائي، معاني النحو، ج4، ص 125.

[4]– سورة الزلزلة، الآية: 3/1.

[5]– عبد الرحمان بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمان في تفسير كلام المنّان، مج1، ص 1100.

[6]– سورة الزلزلة، الآية: 1.

هذه السّورة ، فقال رسول الله —صل الله عليه وسلم— لو أنّكم لا تخطئون ولا تذنبون، لخلق الله أمةً من بعدكم يخطئون ويذنبون فيغفر لهم.[1]

فالزّلزلة مشهد خفيّ غيبيّ، وقد جاءت في سياق بثَّ الفزع والرّجفة النّفسيّة والتّصدّع القلبيّ ولم يأت في هذه السّورة الكريمة فعل مبني للمجهول إلاّ (زُلْزِلَتِ – لِيُرَوْا)، فهذا الانقلاب الكونيّ يمثّل الوجه الآخر للمشهد، وهو مجسّد في رؤية الأعمال التي من أجلها انقلب هذا الكون واختلّ نظامه وإذا كانت (إذا) للوقت، ومع ذلك قد صدرت بها السّورة، فهي بمنزلة الإجابة عن سؤال: متى السّاعة فقال: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾ كأنّه تعالى قال: لا سبيل إلى تعيينه بحسب وقته، ولكن أعيّنه بحسب علاماته إنّ الله تعالى أراد أن يخبر المكلّف أنّ الأرض تُحدِّثُ وتشهد يوم القيامة مع أنّها في هذه الساعة جماد، فكأنّه قيل: متى يكون ذلك؟ فقال: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾.[2]

إنّ في البناء للمجهول تركيز على الاهتمام بالحدث، بصرف النّظر عن محدّثه[3]،فحذف الفاعل لأنّه معلوم فالغرض هنا يرتكز حول حدث البعث الذي ينكره الخصوم، وقد ساهم هذا الحذف في التّبئير للحدث وسؤال المكذّبين حول حقيقته وحقيقة وقوعه، ذلك أنّه إذا بُني الفعل للمعلوم يصبح الكلام مداره حول الفاعل وهو الله والمشركين به لا يتساءلون عن كون الله موجود بقدر ما يبحثون في فعله وهو يوم الحساب.

ومنه فالبناء للمجهول يوجّه الكلام الوجهة الحجاجيّة المقصودة ويجعل وجهة الحوار مع المنكرين كما يرغب، وفي ذلك «تنزيل وقوع البعث منزلة الشيء المحقّق المفروغ منه بحيث لا يهمّ الناس إلاّ معرفة وقته و أشراطه».[4]

[1]– أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي، أسباب نزول القرآن، ص 487.

[2]– أيمن عبد الرزاق الشوّا، الفعل المبني للمجهول في اللغة العربية، (د.ن)، (د. ب)، (د. ط)، 2007م، ص 249، 250.

[3]– عائشة عبد الرحمان بنت الشاطئ، التفسير البياني للقرآن الكريم، ج01، ص 81.

[4]– محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج30، ص 490.

- حذف المفعول به:

سورة اللّيل: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى * وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى﴾.[1]

جاء في أسباب النّزول للواحدي في ما يخص هذه الآيات؛ أخبرنا أبو عبد الله محمّد بن إبراهيم أخبرنا محمّد بن جعفر بن الهيثم الأنباري حدّثنا جعفر بن محمّد بن شاكر، حدّثنا قبيصة حدّثنا سفيان الثّوري، عن منصور والأعمش، عن سعد بن عبيدة، عن أبي عبد الرّحمان السَّلمي، عن علي قال :قال رسول الله —صل الله عليه وسلم— ما منكم من أحد إلاّ كُتِبَ مقعده في الجنّة ومقعده من النّار! قالوا: يا رسول الله، أفلا نتّكِلُ؟ قال: اعملوا فكلٌّ ميسّر [لما خلق له] ثم قرأ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى * وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى﴾[2] رواه البخاري، عن أبي نُعيم، عن الأعمش ورواه مسلم عن أبي زهير بن حرب، عن جرير، عن منصور.[3]

إنّ من المقامات الخاصة بحذف المفعول تنزيله منزلة اللاّزم حيث يكون الغرض ذكر الفعل دون متعلّقه[4]، وفي قوله تعالى ﴿مَنْ أَعْطَى﴾ يعمّ كلّ من يفعل الإعطاء ويتّقي ويصّدّق بالحسنى وروي أنّ هذا نزل بسبب أنّ أبا بكر اشترى بلالا من أميّة بن خلف وأعتقه لينجيه من تعذيب أميّة بن خلف، ومن المفسّرين من يذكر أبا سفيان بن حرب عوض أميّة بن خلف، وحذف مفعول "أعطى" لأنّ فعل الإعطاء إذا أريد به إعطاء المال بدون عوض، ينزل منزلة اللاّزم لاشتهار استعماله في إعطاء المال (ولذلك يسمّى المال الموهوب عطاء)، والمقصود إعطاء الزّكاة، وكذلك حذف مفعول "اتّقى" لأنّه يعلم أنّ المقدّر اتّقى الله.[5]

---

[1]- سورة الليل، الآية: 5، 6.

[2]- سورة الليل، الآية: 5، 6، 7.

[3]- أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي، أسباب نزول القرآن، ص 478، 479.

[4]- عبد المتعال الصّعيدي، البلاغة العالية، ص 67.

[5]- محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج30، ص 382.

فغرض الحذف هو إثبات المعنى دون ذكر ما يتعلق به وهنا لإثبات الإعطاء والاتّقاء دون النّظر إلى كونه يعطي قليلا أو كثيرًا وإلى كون الاتّقاء يكون فقط تجنّبًا للبخل وهكذا إلى ما نهاية من المتعلّقات ويذهب ابن حيّان (ت 745هـ) إلى: «أنّ حذف مفعولي (أعطى) لأنّ المقصود الثّناء على المعطي دون تعرّض للمعطى والعطيّة، وظاهره بذل المال في واجب ومندوب ومكرمه».[1]

وتقدير الحذف هنا: (فأمّا من أعطى حقّ الله واتّقى الله) حذفا لأنّ المقصود ثبوت الإعطاء من حيث هو إعطاء وثبوت الاتّقاء من حيث اتّقاء ليكون أبلغ وأعمّ، لأنّه إذا أريد ثبوت الحقيقة على العموم فتقييدها بنوع ما تحكّم.[2]

ومنه فإثبات الفعل غير متعلّق أبلغ وأحجّ من إثباته متعلّقا، و هنا ينسج المؤوّل أو المتلقّي في ذهنه أنّ الإعطاء لله في جميع وجوه الخير وأنّ الإنفاق كله في سبيل ابتغاء مرضاة خالقه، وأنّ تقاه يكون في كل شيء مخافة من عذابه جلّ وعلا.

وعليه فإنّ حذف المفعول غير المتعلّق بفعله يجعل الكلام عام وفي سياق يجعل من السّامع الانقياد إلى الإثبات، وهكذا يسهم هذا الحذف في تقوية طاقة الكلام الحجاجيّة ويعمق معناه ويوجّه الملفوظ نحو النّتيجة المطلوبة، وفي هذا المقام تكون النّتيجة مجازاة الله لكلّ من أنفق في سبيله واتّبع طريق الهدى والتّقى.

- حذف جملة جواب الشّرط:

سورة التّكاثر: ﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ* حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ* كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ* ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ* كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ* لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ﴾.[3]

[1]- أبو حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، ج08، ص 478.

[2]- محمد شفيع، جزء عمّ من القرآن الكريم وظاهرة الإيجاز فيه، أطروحة لنيل درجة الدكتوراه في اللغة العربية، جامعة بشاور، باكستان، 1997م، ص 156.

[3]- سورة التكاثر، الآية: 6/1.

قال مقاتل والكلبيُّ: نزلت في حِيَّيْنِ من قريش: بني عبد منافٍ وبني سهْم، كان بينهما لِحَاءٌ فتعادُّوا السّادة والأشراف أيُّهم أكثرُ؟ فقال بنو عبد منافٍ: نحن أكثر سيدًا، وأعزُّ عزيزًا، وأعظمُ نفرًا وقال بنو سهم مثل ذلك، فكثرهم بنو عبد مناف ثم قالوا: نعدُّ موتانا، حتى زاروا القبور فعدّوا موتاهم فكثرهم بنو سهم: لأنهم كانوا أكثر عددًا في الجاهليّة.

وقال قتادة: نزلت في اليهود، قالوا: نحن أكثر من بني فلانٍ، وبنو فلانٍ أكثرُ من بني فلانٍ ألهاهم ذلك حتى ماتوا ضُلاَّلاً.[1]

أعيد الزّجر في هذه الآية ﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ﴾[2] لثالث مرّة زيادة في إبطال ما هم عليه من اللّهو عن التّدبّر في أقوال القرآن لعلّهم يقلعون عن انكبابهم على التّكاثر مما هم يتكاثرون فيه ولهوهم به عن النّظر في دعوة الحقّ والتّوحيد .... وجواب (لو) محذوف وهذا خطاب للمشركين الذين لا يؤمنون بالجزاء وليس خطابًا للمسلمين لأنّ المسلمين يعملون ذلك علم اليقين.[3]

وتقوم الجمل الشّرطيّة المحذوف جوابها في القرآن على خصائص من بينها: أنّها قائمة على ضمير الخطاب دون الغيبة وهو ما يقتضي وجود متلقٍّ مباشر مَعْنِيّ بالكلام موكول إليه أن يتصوّر الجزاء بناء على ما قدّم إليه من شرط تصوّر يذهب به في كل اتّجاه[4]، ويظهر ذلك في جملة ﴿لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ﴾[5]تهويل وإزعاج لأنّ حذف جواب (لو) يجعل النّفاس تذهب في تقديره كلّ مذهب ممكن[6]، ويبدو هذا الرأي مبدئيًّا ومن الناحية الحجاجيّة ليس بكافٍ، ذلك أنّ الجواب المحذوف في جملة القرآن الشّرطية لا يترك سُدى و لا يكون حذفه لمجرّد أن يُدعى المتلقّي إلى إتمامه على نحو فيه

[1]- أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي، أسباب نزول القرآن، ص 490.
[2]- سورة التكاثر، الآية: 5.
[3]- محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج30، ص 521، 522.
[4]- عبد الله صولة، الحجاج في القرآن، ص 398.
[5]- سورة التكاثر، الآية: 5.
[6]- محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج30، ص 521.

مبالغة وتهويل[1]، وفي جملة الشّرط المذكورة أعلاه تشتمل على ألفاظ ذات معانٍ تحدّد طبيعة الجواب المحذوف ومحتواه وتلزم المتلقّي بتصوّر ذلك الجواب دون غيره، ومن ذلك معنى (لو تعلمون علم اليقين) لتبيّن لكم حال مفظع عظيم[2]، ففي هذا توجيه لذهن المتلقّي إلى تصوّر الجزاء الواجب تصوّره، فالجزاء هو على الحقيقة مضمّن في الشّرط أو هو على الأقلّ ممّا يوجّه الشّرط إليه المتلقّين توجيهًا دقيقًا بيّنًا صارمًا معًا إذ ليس لهؤلاء المتلقّين إلاّ أن يتصوّروه على النّحو الذي تمليه جملة الشّرط بألفاظها ومعانيها ويظهر ذلك التّوجيه في هذه الجملة من خلال عناصرها اللّغوية التي من شأنها أن توجّه المتلقّي إلى الجواب فـ (لو تعلمون علم اليقين) تتضمّن الجواب المحذوف الذي يهتدي إليه المتلقّي، فحذف الجواب هنا للتّهويل ولبيان أن تعلمون علم اليقين «لرأيتم ما تشيب له الرّؤوس ، وتفزع له النّفوس من الشّدائد والأهوال، فيقدر السّامع أعظم ما يخطر بباله».[3]وفي هذا تكمن طاقة الحذف الحجاجيّة عمومًا.

وعليه فإنّ جملة الشّرط تدفع إلى إظهار جملة جواب الشّرط المحذوفة، إذ يعمل القارئ إلى استنتاج هذا الحذف من خلال جملة الشّرط المجاورة لها ويصرّح بها.

- حذف جملة جواب القسم:

سورة الفجر: ﴿وَالْفَجْرِ* وَلَيَالٍ عَشْرٍ* وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ* وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ* هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ* أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ* إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ* الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ* وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ* وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ* الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ* فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ* فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ* إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾.[4]

[1]- عبد الله صولة، الحجاج في القرآن، ص 399.

[2]- المرجع نفسه، ص 521 ،522.

[3]- محمّد علي الصابوني، صفوة التفاسير، مج03، ص 598، 599.

[4]- سورة الفجر، الآية: 14/1.

تضمّن القسم في هذه الآيات المناسك والصّلوات، وهما المختصّان بعبادة الله والخضوع له والتّواضع لعظمته ولهذا قال الخليل -عليه السلام-: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[1] وقيل لخاتم الرّسل —صل الله عليه وسلم—: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾[2] بخلاف حال المشركين المتكبّرين الذين لا يعبدون الله وحده بل يشركون به، ويستكبرون عن عبادته كحال من ذكر في هذه السورة من قوم عاد، وثمود، وفرعون[3]،فقد أقسم تعالى بالفجر لما فيه من خشوع القلب في حضرة الرّبّ، وباللّيالي الفاضلة المباركة وهي عشر ذي الحجّة، لأنّها أفضل أيّام السّنة، وأقسم بالزّوج والفرد من كل شيء فكأنّه تعالى أقسم بكلّ شيء، لأنّ الأشياء إمّا زوج وإمّا فردٌ، أو هو قسم بالخلق والخالق، فإنّ الله تعالى واحد "وتر" والمخلوقات ذكر وأنثى "شفع"وأقسم باللّيل إذا يمضي بحركة الكون العجيبة، والتّقييد بسريانه لما فيه من وضوح الدّلالة على كمال القدرة، ووفور النّعمة، وفي قوله تعالى: ﴿هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ﴾[4] أي هل فيما ذكر من الأشياء قسم مقنع لذي لبّ وعقل؟ والاستفهام تقريريّ لفخامة شأن الأمور المقسم بها، كأنّه يقول: إنّ هذا القسم عظيم عند ذوي العقول والألباب، فمن كان ذا لبّ وعقل علم أنّ ما أقسم الله عزَّ وجلَّ به من هذه الأشياء فيها عجائب، ودلائل تدلّ على توحيده وربوبيته.

وجواب القسم هنا محذوف تقديره: وربّ هذه الأشياء ليعذبنَّ الكفّار ويدلّ عليه قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ﴾.[5] أي ألم يبلغك يا محمّد ويصل إلى علمك ماذا فعل الله بعاد قوم هود؟ والأقوام الأخرى المذكورة وكيف أهلكهم وكانوا أطول أعمارًا، وأشدّ قوّة من كفّار مكّة!؟.[6]

---

[1]- سورة الأنعام، الآية: 162.

[2]- سورة الكوثر، الآية: 2.

[3]- ابن القيم الجوزية، التبيان في أقسام القرآن، مكتبة المتنبي، القاهرة، (د. ط)، (د. ت)، ص 24.

[4]- سورة الفجر، الآية: 5.

[5]- سورة الفجر، الآية: 6.

[6]- محمّد علي الصابوني، صفوة التفاسير، مج03، ص 556، 557.

فجملة جواب القسم محذوفة ودلّت عليها الجملة التي أتت بعدها وهنا نرى أنّ حذف جملة جواب القسم مع التّصريح بالدّليل على المحذوف في الجملة الموالية لها أثار ذهن القارئ ودفعه إلى التّتبع والتأمّل لمعرفة المعنى المراد، وبالتالي يذهب إلى إدراك ما حذف وجعله حجة وفق ما ورد في جملة الدّليل، وهذه الأخيرة ترشد المتلقّي إلى الجواب المحذوف، وفي هذا المقام يقول أبو موسى: «[ومن صور الحذف] إثارة الفكر والحسّ بالتّعويل على النّفس في إدراك المعنى».[1]

ويقول الزّركشي (ت 794هـ) أيضا من فوائد الحذف: «زيادة لذّة بسبب استنباط الذّهن للمحذوف وكلمّا كان الشّعور بالمحذوف أعسر، كان الالتذاذ به أشدّ وأحسن».[2]

فجواب القسم محذوف يفهم من السّورة التي ورد فيها هذا القسم، وإنَّ في هذا الحذف بعث النّفس على التّفكير لتهتدي إلى الجواب وتظلّ النّفس تتبع هذه الآيات يتلو بعضها بعض، تستوحي منها هذا الجواب الذي لابدّ أن يكون شيئا عظيما يقسم عليه الله، وإذا أنت تتبّعت آيات السّورة رأيتها حديثا عن البعث، وتعجّبا من منكريه، ممّا يؤذن بأنّ هذا القسم وارد لتأكيده، وأنّه سيكون لا محالة، أو لا ترى في حذف هذا الجواب دلالة على مثوله في الذّهن لشدّة ما شغل النّفس واستأثر بعميق تفكيرها، يوم نزل القرآن مؤكّدًا مجيء اليوم الآخر ... ويورث هذا الحذف الكلام قوّة وشدّة أسر.[3]

2- حجاجيّة الحذف بين الجمل ب:

أ- الاحتباك:

وسمّاه الزّركشي بالحذف المقابلي وعرّفه: «وهو أن يجتمع في الكلام متقابلان، فيحذف من واحد منهما مقابله؛ لدلالة الآخر عليه» كقوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَيَّ إِجْرَامِي وَأَنَا

[1]- محمّد محمّد أبو موسى، خصائص التراكيب دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني، مكتبة وهبة، القاهرة، ط4، 1996م، ص 161.

[2]- بدر الدين الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج3، ص 105.

[3]- أحمد أحمد بدوي، من بلاغة القرآن، ص 100.

﴿بَرِيءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ﴾[1]، الأصل: فإنّ افتريته فعليّ إجرامي وأنتم براء منه، وعليكم إجرامكم وأنا بريء مما تجرمون فنسبة قوله تعالى: (إجرامي) وهو الأوّل إلى (وعليكم إجرامكم) وهو الثّالث كنسبة قوله (وأنتم براء منهم) والثّاني إلى قوله تعالى: ﴿وَأَنَا بَرِيءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ﴾[2]، وهو الرّابع واكتفى من كل متناسبين بأحدهما[3]، ومن أمثلته في الشّعر قول الأعشى الكبير:

وَكَأْسٍ شَرِبْتُ عَلَى لَذَّةٍ وأخرى تَدَاوَيتُ مِنْهَا بِهَا[4]

وقع في هذا البيت حذف ضدّي لأنّه حذف أوّلا من الصّدر (فأمرضتني) لدلالة ضدّه عليه في العجز (تداويت)، وحذف ثانيا من العجز (شربتها) لدلالة مثله عليه في الصّدر، وعليه يكون التّقدير[5]:

وَكَأْسٍ شَرِبْتُ عَلَى لَذَّةٍ فأَمْرَضَتْنِي وَأُخْرَى شربتها فتَدَاوَيتُ مِنْهَا بِهَا

جاء الاحتباك كثيرا في القرآن يحمل في طيّاته وجوه حجاجيّة مختلفة فما الوجه الحجاجيّ للاحتباك في سورتيْ الليل والقارعة؟

سورة اللّيل: ﴿فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ * لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى * الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ * وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى * الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّىٰ * وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰ * إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَىٰ * وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ﴾.[6]

تتحدّث هذه السّورة عن سعي الإنسان وعمله، وعن كفاحه ونضاله في هذه الحياة، ثم نهايته إلى النّعيم أو إلى الجحيم، وفي هذه الآيات بالتّحديد تحذر أهل مكّة من عذاب الله وانتقامه، ممن

[1]- سورة هود، الآية: 35.

[2]- سورة هود، الآية: 35.

[3]- بدر الدين الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج3، ص 129.

[4]- ميمون بن قيس، ديوان الأعشى الكبير، (د ن)، (د ب)، (د ط)، (د ت)، ص 22.

[5]- أحمد فتحي رمضان، وعدنان عبد السلام أسعد، الاحتباك في القرآن الكريم رؤية بلاغية، مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية، مج4، العدد2، 2006م، ص 51.

[6]- سورة الليل، الآية: 21/14.

كذّب بآياته ورسوله، وأنذرهم، من نار حامية تتوهّج من شدّة حرّها، لا يدخلها و لا يذوق سعيرها إلاّ الكافر الشقيّ، المعرض عن هداية الله[1]، وقيل أنّها نزلت في أبي بكر الصّديق وإنفاقه ما له على المسلمين، وأميّة بن خلف وبخله وكفره وفي قول آخر إنّها نزلت في أبي الدّحداح الأنصاريّ، ورووا قصّة النّخلة التي عرض الرسول —صل الله عليه وسلم— على أحد المنافقين أو اليهود أن يبيعها بنخلة في الجنّة فأبى واشتراها أبو الدّحداح والعبرة على كل حال بعموم اللّفظ والسّياق صريح التّوجيه إلى عامّة النّاس.[2]

وتتحدّث هذه الآيات عن صنفين من النّاس، صنف آثر الحياة الدّنيا ونسي الآخرة، وكفر بالله وارتكب الموبيقات والكبائر وأعرض عن المكرمات والطّيّبات، فكان أشقى النّاس، وصنف آثر الآخرة على الدّنيا الفانية، ولم يترك باباً من الخير إلاّ ولج فيه ،ولا باباً من أبواب الشّرّ إلاّ وفرَّ منه وأعرض عنه وآمن بالله وعمل الصّالحات وأمر بالمعروف وأتاه، ونهى عن المنكر وانتهى عنه، فكان أتقى النّاس بحقّ.

وجاء نظم الآية بالحذف من الطّرفين على سبيل الاحتباك أي أنّه حذف من الأوّل (ولم يؤت ماله يتزكّى) لدلالة وجوده في جانب الأتقى ثانيا، ومن الثّاني (لم يكذّب ولم يتولّ) لدلالة الكذب والتولّي عليه في جانب الأشقى أوّلاً، وعلى هذا يكون تقدير الآية الكريمة: فأنذرتكم نارًا تلظّى لا يصلاها إلاّ الأشقى الذي كذّب وتولّى (ولم يؤت ماله يتزكّى) وسيجنّبها الأتقى الذي صدّق (ولم يكذّب ولم يتولّ) وأتى ماله يتزكّى.

وعبّر سبحانه وتعالى عن الذي يصلى هذه النّار بـ(الأشقى) ولم يقل الشّقي وعن الذي سيجنّبها بـ (الأتقى) ولم يقل التّقي، لأنّه أراد وذكر الزمخشري —والله أعلم— أن يوازن بين حالتي عظيم من المشركين، وعظيم من المؤمنين، فأريد أن يبالغ في صفتيهما المتناقضتين، فقيل الأشقى

[1]– محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، مج3، ص 568.

[2]– عائشة عبد الرحمان بنت الشاطئ، التفسير البياني للقرآن الكريم، ج2، ص 97.

وجعل مختصّا بالصّلي كأنّ النّار لم تخلق إلاّ له، وقيل الأتقى وجعل مختصًّا بالنّجاة، وكأنّ الجنّة لم تخلق إلاّ له.[1]

إنّ جملة (ولم يؤته ماله يتزكّى) في التّركيب الأوّل محذوفة ومؤمًا إليها بجملة (وأتى ماله يتزكّى) في التّركيب الثّاني، وجملة (لم يكذّب ولم يتولّ) محذوفة في التّركيب الثّاني دلّ عليها مقابلها في التّركيب الأوّل وهو (الذي كذّب وتولّى)، وبفضل العنصرين المذكورين (الذي كذّب وتولّى) وجملة (الذي صدّق وأتى ماله يتزكّى) نتوصّل آليا إلى استحضار العنصرين المحذوفين المشار إليهما سابقا.

وعليه فإنّ النّاظر إلى هذا النّوع من الحذف يرى قوّة المفارقة بين الجمل التي أسقطت منها محذوفتها، وبالتّالي فإنّ التّصريح بها تجعل من الكلام ذا درجة حجاجيّة ضعيفة، في مقابل أنّ جعل الخطاب محتبكًا بعضه في بعض فإنّ ذلك يجعل من السّامع عنصرًا مساهما في توليد الكلام بناء على ما ذكر وليس تأويلاً خارجًا عن ذاك السّياق، وعليه نرى أنّ المحذوف في هذه الآيات يمثّل دور أساسي ومهمّ إذ يسهم في تقوية توجيه الملفوظ نحو النّتيجة الواردة في السّياق.

سورة القارعة: ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ* فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ* وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ* فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ* وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ* نَارٌ حَامِيَةٌ﴾.[2]

ذكر الله تعالى في هذه الآيات حالة النّاس يوم القيامة، وانقسامهم إلى شقيّ وسعيد فقال:

﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾[3] أي رجّحت موازين حسناته وزادت هذه الأخيرة على سيّئاته

﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾[4] أي فهو في عيش هنيءٍ رغيد سعيد، في جنان الخلد والنّعيم،

[1]- أحمد فتحي رمضان وعدنان عبد السلام أسعد، الاحتباك في القرآن الكريم –رؤية بلاغية–، ص 71.

[2]- سورة القارعة، الآية: 11/6.

[3]- سورة القارعة، الآية: 6.

[4]- سورة القارعة: الآية: 7.

﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ﴾[1] أي نقصت حسناته عن سيّئاته، أو لم يكن له حسنات يعتدُّ بها، ﴿فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ﴾[2] أي فمسكنه ومصيره نار جهنّم يهوي في قعرها، سمّاما أمًّا لأنّ مأوى الولد ومفزعه، فنار جهنّم تؤوي هؤلاء المجرمين، كما يأوي الأولاد إلى أمّهم .

حذف من الجملة الأولى (فأمّه الجنّة) وذكر فيها (عيشة راضية)، وحذف من الآية الثانية (فهو في عيشة ساخطة) وذكر (فأمّه هاوية)، فحذف من كل نظير ما أثبته في الآخر، وهنا يظهر الاحتباك.[3]

إنَّ الصّورة النظريّة للجملة المحتبكة تكوّن كالتالي:

ج1 = أ + (– ب) أي عيشة راضية + (أمّه هاوية يعني أمّه الجنّة).

ج2 = ب + (– أ) أي أمه هاوية + (عيشة راضية يعني عيشة ساخطة).

ويتّضح من الصّورة النّظريّة أنّ بين الجملة 1 والجملة 2 تقابلا تامًّا.

ج1 = أ + (– ب)

ج2 = ب + (– أ)

وبيانه:

ج1: فأمّا من ثقلت موازينه فهو في عيشة راضية (أ) وأمّه هاوية (– ب).

ج2: أمّا من خفّت موازينه فأمه هاوية (ب) وهو في عيشة راضية (– أ).

إنّ التّقابل بين العنصرين (أ) و (ب) وهما العنصران المصرّح بهما ليس تامًّا إذ لا يوجد تقابل في اللّغة بين عيشة راضية وأمّه هاوية وانعدام تمام التّقابل هذا هو مأتى الخصوبة الدّلاليّة والطّاقة الحجاجيّة[4] في الجملتين إذ لو كان (أ) هو مقابل (ب) المعجميّ لكان (– ب) هو (أ) نفسه ولكان

[1]– سورة القارعة، الآية: 8.

[2]– سورة القارعة، الآية: 9.

[3]– محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، مج3، ص 596، 597.

[4]– محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج30، ص 514.

(– أ) هو (ب) نفسه ولما كان هناك احتباك أصلاً، وإنّما خولف شيئًا بين (أ) و (ب) ليكون (– ب) تفسيرًا ونتيجة أو تضّمنا لـ (أ) وليكون (– أ) مفسّرًا أو متضّمنا أو نتيجة أيضا لـ (ب)، وآية ذلك أنّ (أمّه جنّة) في الجملة الأولى وهي محذوفة ومومًا إليها بـ (أمّه هاوية) في الجملة الثّانية من التّركيب نفسه تأتي لبيان العيشة الرّاضية التي كانت بفعل الخير وكثرة الحسنات، فهي «وصفت بالرّاضية لأنّ صاحبها راضٍ بها فوصفت به العيشة لأنّها بسبب الرّضى أو زمان الرّضى»[1] ويكون هذا الرّضى بمقام الجنّة وحسن الحال، وإنّ جملة (عيشة ساخطة) في الجملة الثّانية وهي محذوفة دلّ عليها مقابلها في الجملة الأولى وهو (عيشة راضية) تأتي لبيان النّتيجة اللّازمة عن أمّه هاوية وهي العيشة السّاخطة، وبهذا يكون الكلام في الجملتين قد أشرع أبوابه مستدرجًا المتلقّي إلى فضائه ليكمل بنفسه ما شرع الكلام في صنعه بعد، فهو بفضل العنصرين المذكورين (عيشة راضية وأمّه هاوية) يتوصّل تلقائيّا إلى استحضار العنصرين المحذوفين (أمّه جنّة وعيشة ساخطة) فإذا بمن كان ميزانه ثقيل كانت حياته في جنّة النّعيم راضيًا بها ومن خفّت موازينه فهو هالك في نار الجحيم.

وعليه فإنّ قيام هذه الجمل على الحذف المقابلي والمتبادلي جعل من الدّلالة الحجاجيّة ذات قوّة ونجاعة، فالكلام المحذوف يكون كالحجّة والدّليل التي يسعى المتلقّي إلى العثور عليها.

ب– الاكتفاء:

وهو أن يقتضي المقام ذكر شيئين بينهما تلازم وارتباط؛ فيكتفي بأحدهما عن الآخر، ويخصّ بالارتباط العطفي غالبا، ثم ليس المراد الاكتفاء بأحدهما كيف اتّفق؛ بل لأنّ فيه نكتة تقتضي الاقتصار عليه[2]، ومن أمثلته قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَالًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ﴾[3] ففي قوله

[1]– عبد الله صولة، الحجاج في القرآن، ص 416.

[2]– بدر الدين الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج3، ص 188.

[3]– سورة النحل، الآية: 81.

تعالى: ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ﴾[1] إيجاز بالحذف على سبيل الاكتفاء، إذ التقدير: تقيكم الحرّ والبرد.

قالوا: وخُصَّ الحرُّ بالذّكر لأن المخاطبين الأوّلين كانوا عربا، وبلادهم حارّة، والوقاية من الحرِّ هي الأهم لدى معظمهم.

وقوله أيضا عز وجلّ: ﴿وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾[2]، أي: وله ماسكن وما تحرّك في اللّيل والنّهار، لأنّ كلّ ساكن في الوجود هو ذو حركة ما، فالأمران متلازمان فحصل الاكتفاء بأحدهما عن الآخر.[3]

وفي الحديث قوله –صل الله عليه وسلم–: «... آكل كما يأكل العبيد»، فاكتفى بذكر الأكل عن الشّرب، لأنّهما متلازمان، لا انفكاك لأحدهما عن الآخر بدليل قوله تعالى: ﴿يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ﴾[4] وبدليل البيئة.[5]

وفي السّورتين التّاليتين نبيّن غرض الاكتفاء الحجاجيّ إضافة إلى غرضه البلاغيّ:

سورة عبس: ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ* يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ* وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ* وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ* لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾.[6]

ففي هذه الآيات جاء الحديث عن يوم الإنسان الخاص به فيومه هو يوم القيامة يوم تصخ الصّيحة الآذان لشدّتها، ففي ذلك اليوم لا يسأل الإنسان عن أمّه وأبيه، ولا يسأل عن زوجته وأخيه

[1]– سورة النحل، الآية: 81.

[2]– سورة الأنعام، الآية: 13.

[3]– عبد الرحمان حسن حبنّكة الميداني، البلاغة العربية، أسسها وعلومها وفنونها، ص 48، 49.

[4]– سورة المؤمنون، الآية: 33.

[5]– سارة أحمد معروف، الحذف في الحديث النبوي الشريف، بحث مقدم لنيل درجة الماجستير في النحو والصرف، جامعة أم درمان الإسلامية، 2010م، ص 63.

[6]– سورة عبس، الآية: 37/33.

ولا عن بنيه لكل ذلك اليوم شأن يغنيه، ينتظر حسابه فيه[1]، ورتّبت أصناف القرابة في الآية حسب الصّعود من الصّنف إلى من هو أقوى منه تدرّجا في تهويل ذلك اليوم، فابتدئ بالأخّ لشدّة اتّصاله بأخيه زمن الصّبا فينشأ بذلك إلف بينهما يستمرّ طول الحياة، ثم ارتقى من الأخّ إلى الأبوين وهما أشدّ قربا لابنيهما وقدّم الأمّ في الذّكر لأنّ إِلْفَ ابنها أقوى منه بأبيه ومراعاة للفاصلة، وانتقل إلى الزّوجة والبنين وهما مجتمع عائلة الإنسان وأشدّ النّاس قربا وملازمة له وأطنب بتعداد هؤلاء الأقرباء دون أن يقال: يوم يفرّ المرء من أقرب قرابته مثلا لإحضار صورة الهول في نفس السّامع.[2]

وكلّ من هؤلاء القرابة إذا قدرته هو الفارّ كان من ذُكر معه مفرورًا منه إلاّ قوله (وصاحبته) لظهور أنّ معناه والمرأة من صاحبها، ففيه اكتفاء، وإنّما ذُكِرَتْ بوصف الصّاحبة الدّال على القرب والملازمة دون وصف الزّوج لأنّ المرأة قد تكون غير حسنة العشرة لزوجها فلا يكون فراره منها كناية عن شدّة الهول فذكر بوصف الصّاحبة.[3]

في هذا النّوع من الاكتفاء ذكر الصّفة وحذف المعنى الشّامل أو الكلّي، فذكر صفة من صفات المرأة وهي صاحبة وحذف كلمة الزّوجة وما تشتمل عليه، لأنّ هذه الأخيرة لا تحمل دائما صفات الزّوجة المثالية البارّة الطّيّبة العشرة، وصاحبة لزوجها في كل شيء، فيوجد من الزّوجات من هن منكرات لفضل أزواجهنّ، لهذا ذكر صفة الصّاحبة التي تتحمّل كلّ الأعباء مع زوجها وتكنّ له كل المحبّة، إلاّ أنّه في ذلك اليوم لا تنفعه ولا تغنيه في شيء إنّه يوم الحساب بمعنى أنّ حتّى الزّوجة الصّاحبة ستفرّ منها لأنّها لا تنجيك ممّا أنت فيه، فالحذف في هذا المقام وجّه الكلام ووجّه معه فهم المتلقّي إلى المعنى المراد من الخطاب.

[1]- مصطفى مسلم، التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، مج09، ص 45.

[2]- محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج30، ص 135.

[3]- المرجع نفسه، ج30، ص 136.

سورة العصر: ﴿وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾.[1]

قال القرطبي: أقسم الله عزّ وجلّ بالعصر —وهو الدهر— لما فيه من التّنبيه بتصرّف الأحوال وتبدّلها، وما فيها من الدّلالة على الصّانع، وقيل: هو قسم بصلاة العصر لأنّها أفضل الصّلاة ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾[2] أي جمعوا بين الإيمان وصالح الأعمال، فهؤلاء هم الفائزون لأنّهم باعوا الخسيس بالنّفيس، واستبدلوا الباقيات الصّالحات عوضًا عن الشّهوات العاجلات ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ﴾[3]أي أوصى بعضهم بعضًا بالحقّ، وهو الخير كله، من الإيمان، والتّصديق وعبادة الرّحمان ﴿وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾[4] أي تواصوا بالصّبر على الشّدائد والمصائب، وعلى فعل الطّاعات، وترك المحرّمات .... حكم تعالى بالخسار على جميع النّاس إلاّ من أتى بهذه الأشياء الأربعة وهي: الإيمان والعمل الصّالح، والتّواصي بالحقّ، والتّواصي بالصّبر، فإنّ نجاة الإنسان لا تكون إلاّ إذا كمَّل الإنسان نفسه بالإيمان والعمل الصّالح، وكمَّل غيره بالنّصح والإرشاد، فيكون قد جمع بين حقّ الله وحقّ العباد، وهذا هو السّرُّ في تخصيص هذه الأمور الأربعة[5]، فيتقرّر الحكم تامًا في نفس السّامع مبيّنا أن النّاس فريقان: فريق يلحقه الخسران، وفريق لا يلحقه شيء منه فالذين آمنوا وعملوا الصّالحات لا يلحقهم الخسران بحال إذا لم يتركوا شيئا من الصّالحات بارتكاب أضدادها وهي السّيئات[6]، ولعلّه

[1]– سورة العصر، الآية: 3/1.

[2]– سورة العصر، الآية: 3.

[3]– سورة العصر، الآية: 3.

[4]– سورة العصر، الآية: 3.

[5]– محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، ج3، ص 601.

[6]– محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج30، ص 531.

سبحانه وتعالى إنّما ذكر سبب الرّبح دون الخسران اكتفاء ببيان المقصود، وإشعار بأنّ ما عدا ما عدّ يؤدّي إلى خسر ونقص حظّ، أو تكرّما فإنّ الإبهام في جانب الخسر كرم.[1]

والاكتفاء هنا جاء بحذف المقابل والاكتفاء بالمذكور دالاً عليه بالمفهوم، فحذف هنا (وأما من لم يعمل الصّالحات ولم يتب من سيّئاته تحقّق فيه الخسران)[2]، واكتفى الله تعالى بذكر: «إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ...»، فمن خلال مفهوم هذه الآية نتبيّن ما حذف من الكلام وهو ما أشير إليه سابقًا في الاكتفاء بذكر سبب الرّبح دون الخسران، وهذا الأخير متفاوت فأعظمه وخالده الخسر المنجرّ عن انتفاء الإيمان بوحدانية الله وصدق الرّسول —صل الله عليه وسلم— ودون ذلك تكون مراتب الخسر متفاوتة بحسب كثرة الأعمال السّيئة ظاهرها وباطنها وما حدّده الإسلام لذلك من مراتب الأعمال وغفران بعض اللّمم إذا ترك صاحبه الكبائر والفواحش وهو ما فسّر به قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾[3] وقد دلّ استثناء الذين آمنوا وعملوا الصّالحات من أن يكونوا في خُسر على أنّ سبب كون بقيّة الإنسان في خسرٍ هو عدم الإيمان والعمل الصّالح بدلالة مفهوم الصّفة وعُلم من الموصول أنّ الإيمان والعمل الصّالح هما سبب انتفاء إحاطة الخسر بالإنسان.[4]

فالحذف هنا أفاد السامع وأوصله إلى نتيجة وهي الأسباب التي تؤدي إلى خسرانه في الدنيا والآخرة، أمّا ما ذُكر وأُكتفي به في هذه الآية فهو طريق الربح والسعادة.

ومما سبق نستنتج أنّ للحذف في القرآن أبعادًا حجاجيّة تدفع بالسّامع إلى إتمام المعنى وتتبّعه من خلال اعتماده على قرينة تعيّن المحذوف فالكلام المحذوف يجعل المنكرين والمعارضين في تساؤل دائم عن يوم الآخرة وعن الحساب، إذ يضطلع الخطاب المشتمل على المحذوفات على توجيه الأذهان والأنفس إلى استنباط ومعرفة المضامين التي خلّفها الحذف، فيتمّ هذا الحذف على مستوى الجملة إذ يحذف منها كلمة كحذف المبتدأ أوالخبر أوالفاعل أو المفعول... وهذان الأخيران اللّذان كانا محور

[1]- البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل المعروف بتفسير البيضاوي، دار إحياء التراث العربية، بيروت، ط1، ج5، ص 336.

[2]- محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج30، ص 531.

[3]- سورة هود، الآية: 114.

[4]- محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج30، 531، 532.

الدّراسة ورأينا كيف كان لحذفهما دلالات مختلفة تعمل على تبئيرها وطرحها في ميدان القارئ وكذلك حذف جزء من الجملة أو جملة بأكملها كجملة جواب الشّرط وجواب القسم إذ تعمل نظيراتها من الجمل على مستوى التّركيب على أن تكون دليلاً لها سواء كانت الجملة التي قبلها أو اللاّحقة لها أي تكون دليل لمعرفة ما حذف من جملة الجواب بنوعيها،فيها يستدل المتلقّي إلى معرفة ما خفي من الكلام مشارًا إليه –أي المتلقّي– بطريقة غير مباشرة إلى استتباع المحذوف والإقرار به، فبتنوّع المحذوفات تتنوّع الدّلالات، وثانيا يكون الحذف على مستوى الجمل متمثّلا في الكلام المحتبك فالخطاب القرآني المحتبك أي الكلام المتقابل حذف أحد أجزائه لدلالة الجزء الآخر عليه، فهذا النّوع أيضا من الحذف ليبيّن ويرسم الحجّة للمخاطبين ويجعلهم موقنين بها وإن بشكل مبدئي.

وعليه فكلام الله كلام معجّز في تراكيبه ونظمه حتى وإن كان موجزًا وفيه حذف إلاّ أنّ هذا الأخير ما يزيد القرآن إلاّ قوة في كثير من قضايا الآخرة، فالقرآن حجّة دامغة لكلّ منكر ومعاند في كل الأزمان والأماكن.

الخاتمة

بعد هذا العرض للتراكيب والأساليب الحجاجيّة لقصار السور، نلاحظ أنّ أهم شيء يقوم عليه الموضوع، هو تقديم الحجج اللّغوية وإبرازها في الخطاب القرآني على اعتبار أنّ هذا الأخير حجاج في لغته وصيغه وصوره وبنياته فهو يمثل قوّة تدفع المُخاطَب إلى التفكير والتأمل من أجل الحصول على الإقرار بحقيقة معينة، ويدعو العقول إلى التدّبر الموضوعي الواعي في قضية التوحيد ويتم ذلك بواسطة أدلة مخصوصة، ومن ذلك نستخلص أهم النتائج:

– أنّ للحجاج مفاهيم ومصطلحات متعددة مرتبطة بمختلف الميادين والمجالات ومنها الجدل والحوار والنقاش وكلها تؤدي إلى حمل المتلقي على النظر في القضيّة المتحاور فيها أو بتغيير رأيه أو بالتصديق والاقتناع مباشرة.

– تظهر قيمة الحجاج في استمالة القارئ ودحض أباطيله بالحجج من أجل اقناعه و لا يكون ذلك إلاّ باستخدام اللّغة، وهذا ما يؤكد أنّ نظرية الحجاج في اللّغة تنطلق من فكرة أنّنا نتكلم عامة بقصد التأثير، وأنّ وظيفة اللّغة الأساسية هي المحاججة، وأنّ المعنى ذو طبيعة وصيغة حجاجيّة.

– إنّ النظرية الحجاجيّة تكشف جوانب عميقة في اللّغة عامة، واللّغة العربية بخاصة من خلال التحليل الحجاجي للنص القرآني ومعرفة مكنوناته والتدبر في معانيه وألفاظه واستنتاج خصوصية بنياته.

– إنّ منهج البحث في الحجاج اللّغوي قائم على مجموعة من الآليات التي تربط الأقوال في سياقات تركيبية إذ تجعل من الملفوظ ذا شحنة إقناعية.

– يهدف الخطاب الحجاجي القرآني إلى إقناع المتلقين والتأثير فيهم، وهو خطاب موجه وذلك وفق تراكيب وأساليب تمكننا من الوصول إلى الهدف المطلوب، ولقد احتوت قصار السور العديد منها لتحقيق المقصدية المراد بلوغها ألا وهي التأثير والتعديل في الآراء والقيم والمعتقدات فوظيفة الكلام القرآني أن يوصل ويبلِّغ أطروحات ويحاجّ ويقنع ويبني ويهدم ويقنع ويجدد.

– من خصائص قصار السور كثرة أسلوب التأكيد فيها ووسائل التقرير ترسيخا للمعاني، وكذلك آياتها التي جاءت موجزة محملة بالدلالات الإيحائية.

– تكون المفردة الحجاجيّة ذات وَقْعٌ في القرآن فهي تحمل خصائص إقتضائية وتقويمية وتداولية ومأتى هذه الأخيرة الاستعمال، حيث تكتسب هذه الكلمة خصائص من استخدامها في المجتمع مما يجعلها ذات تداولية إضافة إلى دلالتها المعجمية.

– تقوم الكلمة الحجاجيّة في جانبها الصوتي بتجسيد المشهد القرآني المتمثل في هول يوم القيامة وما يحصل للكفار يومئذٍ، وهذا التصوير والجرس الذي تحدثه الكلمات القرآنية تشد السامعين وتوجّه أذهانهم إلى هذه الحقيقة. وهكذا في مختلف المستويات اللّغوية و الصّرفيّة إذ تبرهن على أنّ القرآن حجاج بالدرجة الأولى.

– تعددت أشكال ومظاهر التّوكيد وأنماطه التركيبية في قصار السور فضمّت أدوات اختلفت معانيها الوظيفيّة كإنّ واللام والقسم كشكل لغوي يؤدي الحالة القصوى التي يقف عندها المتكلم في تأكيد كلامه، بالإضافة إلى ما يؤديه التكرار والذي تكون حجاجيّته تابعة لمقاصد المحاجج التي يريد بثها في المُخَاطَب.

– تَبَيّن أنّ الوجوه الحجاجيّة الحاصلة في الكلام كالتأكيد بأنّ واللام أو القصر أو المفعول المطلق أو العطف. وكالحجاج الحاصل من الاعتراض والتذييل والاحتباك والاكتفاء متوفرة في جميع الخطابات إلاّ أنّها في الخطاب القرآني تجعل منه ذا خصوصية وأسلوبًا مميزًا قارًا فيه.

– تأكيد العلاقة الوثيقة للبلاغة بالحجاج، فلكل منهما خصيصة تكمن في الأخرى، فالظواهر البلاغية كالحذف بأنواعه؛ والاختزال والاحتباك والاكتفاء. فيكون في الأول حذف يقع على الكلمة كحذف الفاعل والمفعول به، وعلى الجملة كجملة جواب الشرط، و هذه الأخيرة تنطوي في ذاتها على العناصر اللّغوية التي شأنها أن توجّه المتلقي إلى الجواب الذي ينبغي أن يكون منه فهو بحكم اهتدائه إليه في ضوء الموجّه المقالي يصنعه ويملأ به ثغرات الكلام ويتبنّاه فيكون ذلك ألزم له بالحجة وأمضى أثرًا في ذهنه، أمّا الثاني أي الاحتباك فأسلوبه يغري المتلقي ويمده بالجرأة التي تخول له اتمام

الكلام بنفسه بعد أن ابتدأ فيه صاحبه وأعرض عنه بالحذف. والاكتفاء و وظيفته تتجلى في اجتهاد المتلقي من خلال سياق القول واستحضار هندسة الجملة والاهتداء إلى الكشف عن المضمر فيه.

وختام القول إنّ الحمد لله ربّ العالمين ونسأل الله أن يعلّمنا ما ينفعنا وأن يقبل منّا هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم وأن ينفع به كل من يبتغي وجهه إلى يوم الدين اللّهم آمين.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم

أولا: المعاجم باللغة العربية

1.ابن فارس، مقاييس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، ط1، 1991م، مج2.

2.ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، ط3، 1994م، مج2.

3.الخليل بن أحمد الفراهيدي، العين، تح: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، مؤسسة دار الهجرة، ط2، (د.ت)، ج03.

4.لويس معلوف، المنجد في اللغة، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ط19، (د.ت).

5.محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرَّازي، مختار الصحاح، تح: عصام الحرستاني، دار عمار، عمان، الأردن، ط9، 2005م.

ثانيا: المصادر

1. ابن الأثير، المثل السائر، تح: محمّد محي الدين عبد الحميد، مطبعة مصطفى البابلي الحلبي وأولاده، مصر، (د. ط)، 1939م، ج2.

2. ابن الناظم، المصباح في المعاني والبيان والبديع، تح: حسني عبد الجليل يوسف، مكتبة الآداب بالجماميز، ط1، 1989م.

3. ابن جني، الخصائص، تح: محمد علي النجار، دار الكتب المصرية، مصر، (د. ط)، (د. ت)، ج1.

4. ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، تح: سامي بن محمد السلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، ط2، 1999م، ج8.

5. أبو الطيب المتنبي، ديوان المتنبي، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، د ط، 1983م.

6. أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تح: عادل أحمد عبد الوجود، مكتبة العبيكان، الرياض، ط1، 1998م، ج6.

7. أبو حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، تح: عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1993م، ج8.

8. أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، تفسير البغوي «معالم التنزيل»، تح: محمد عبد الله النمر، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، (د. ط)، 1412هـ، مج8.

9. أبو هلال العسكري، الفروق اللغوية، تح: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، (د. ط)، (د.ت).

10. أبي الحسن علي بن أحمد الواحدي، أسباب نزول القرآن، تح: كمال بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1991م.

11. بدر الدين الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة دار التراث، القاهرة، ط3، 1984م، ج2 ج3.

12. عبد الرحمان بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمان في تفسير كلام المنّان، تح: عبد الرحمان بن مُعلاّ اللويحق، دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض، ط2، 2002م، مج1.

13. ميمون بن قيس، ديوان الأعشى الكبير، (د ن)، (د ب)، (د ط)، (د ت).

14. النابغة الذبياني، ديوان النابغة الذبياني، جمع وتقديم: عباس عبد الساتر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط3، 1996م.

ثالثا: المراجع

أ-المراجع باللغة العربية:

1. ابن القيم الجوزية، التبيان في أقسام القرآن، مكتبة المتنبي، القاهرة، (د. ط)، (د. ت).

2. ابن علي بن يعيش، شرح المفصل، عالم الكتب، بيروت، (د. ط)، (د. ت)، ج1.

3. أبو البقاء الكفوي، الكليات، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط2، 1998م.

4. أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، العمدة في الطبع، الدار البيضاء، ط1، 2006م.

5. أحمد أحمد بدوي، من بلاغة القرآن، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة ،(د. ط)، 2005م.

6. أحمد مطلوب، أساليب بلاغية، وكالة المطبوعات، الكويت، ط1، 1980م.

7. أحمد ياسوف، جمالية المفردة القرآنية، دار المكتبي للطباعة والنشر والتوزيع، سوريا، دمشق، ط2، 1999م.

8. أشرف حسن محمد حسن وعبير بنت علي أحمد الفيفي، البلاغة النبوية في كتاب التفسير من صحيح البخاري (علم المعاني)، ط1، 2016م.

9. أيمن أمين عبد الغني، الكافي في البلاغة (البيان والبديع والمعاني)، دار التوفيقية للتراث، القاهرة، (د. ط)، 2011م.

10. أيمن عبد الرزاق الشوا، الفعل المبني للمجهول في اللغة العربية (د. ن)، (د. ط)، 2007م.

11. بهجت عبد الواحد الشيخلي، بلاغة القرآن الكريم في الإعجاز، مكتبة دنديس، عمان، ط1، 2001م، مج: 10.

12. البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل المعروف بتفسير البيضاوي، دار إحياء التراث العربية، بيروت، ط1، ج5.

13. جاك موشلار وآن ريبول، القاموس الموسوعي للتداولية، تر: مجموعة من الأساتذة والباحثين بإشراف عز الدين المجدوب، دار سيناترا، المركز الوطني، تونس، 2010م.

14. جعفر شرف الدين، الموسوعة القرآنية خصائص السور، دار التعريب بين المذاهب الإسلامية، بيروت، لبنان، ط1، 1999م، مج 10، 11.

15. جلال الدين السيوطي، معترك الأقران في إعجاز القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1988م، مج1.

16. جمال الدين عبد الرحمان بن علي بن محمد الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، المكتب الإسلامي، بيروت، ط3، 1984م، ج9.

17. جميل حمداوي، من الحجاج إلى البلاغة الجديدة، أفريقيا الشرق، المغرب، (د. ط)، 2014م.

18. جميل حمداوي، نظريات الحجاج، محمل على شبكة الألوكة على الموقع الالكتروني: .www.alukah.net

19. حامد صادق قنيبي، المشاهد في القرآن الكريم دراسة تحليلية وصفية، مكتبة المنار، الزرقاء، الأردن، ط1، 1984م.

20. سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي بنيته وأساليبه، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط2، 2011م.

21. السيد جعفر السيد باقر الحسيني، أساليب المعاني في القرآن، مؤسسة بوستان كتاب، ط1، 2007م.

22. سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، القاهرة، ط1، 1972م، مج1.

23. حمادي صمود، كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية: من أرسطو إلى اليوم، جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية، تونس1، كلية الآداب منوبة.

24. صبحي الصالح، مباحث في علوم القرآن، دار العلم للملايين، بيروت، ط10، 1977م.

25. طه عبد الرحمان:

– اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1998م.

– في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 2000م.

26. عائشة عبد الرحمان بنت الشاطئ، التفسير البياني للقرآن الكريم، دار المعارف، القاهرة، ط5، 1968م، ج2 ج1.

27. عبد الحميد أحمد يوسف الهنداوي، الإعجاز الصرفي في القرآن، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، لبنان، (د.ط)، 2008م.

28. عبد الرحمان حسن حبنّكة الميداني، البلاغة العربية، أسسها وعلومها وفنونها، دار القلم، دمشق، ط1، 1996م، ج2.

29. عبد العالي قادا، بلاغة الاقناع، دراسة نظرية وتطبيقية، دار كنوز المعرفة، عمان، ط1، 2016م.

30. عبد القادر حسين، البلاغة القيمة لآيات القرآن الكريم "جزء عمّ"، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، (د. ط)، 1998م.

31. عبد الله بن يوسف الجُدَيْع، المقدمات الأساسية في علوم القرآن، مؤسسة الريان للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 2001م.

32. عبد الله صولة:

- في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات، مسكيلياني للنشر والتوزيع، تونس، ط1، 2011م.
- الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، دار الفارابي، بيروت، لبنان، ط2، 2007م.

33. عبد الله محمّد النقراط، الشامل في اللغة العربية، دار الكتب الوطنية، بنغازي، ليبيا، ط1، 2003م.

34. عبد المتعال الصّعيدي، البلاغة العالية، مكتبة الآداب، ط2، 1991م.

35. عز الدين الناجح، العوامل الحجاجية في اللغة العربية، مكتبة علاء الدين للنشر والتوزيع، صفاقس، تونس، ط1، 2011.

36. عيسى علي العاكوب وعلي ساعد الشيتيوي، الكافي في علوم البلاغة العربية المعاني – البيان – البديع، دار الهناء، بنغازي، ط1، 1993م.

37. فاضل صالح السامرائي، معاني النحو، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2000م، ج2 ج4.

38. لالاند آندريه (André) lalande ، موسوعة لالاند الفلسفية، المجلد الأول، A-G، تعريب: خليل أحمد خليل، منشورات عويدات، بيروت، لبنان، ط2، 2001م.

39. محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، الدار التونسية، تونس، (دط)، 1984م، ج7 ج16 ج30.

40. محمد حسين أبو الفتوح، أسلوب التوكيد في القرآن الكريم، مكتبة لبنان، بيروت، ط1، 1995م.

41. محمد سالم محمد الأمين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة "بحث في بلاغة النقد المعاصر"، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2008م.

42. محمد عبد الباسط عيد، في حجاج النص الشعري، إفريقيا الشرق، المغرب، (د. ط)، 2013م.

43. محمد عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، طبع بمطبعة البابي الحلبي وشركاه، (د. ت)، ج1.

44. محمّد علي الصابوني، صفوة التفاسير، دار القرآن الكريم، بيروت، ط4، 1981م، مج03.

45. محمد علي طه الدرة، تفسير القرآن الكريم وإعرابه وبيانه، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، ط1، 2009م، مج10.

46. محمد محمد أبو شهبة، المدخل لدراسة القرآن الكريم، دار اللواء للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الرياض، ط3، 1987م.

47. محمّد محمّد أبو موسى، خصائص التراكيب دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني، مكتبة وهبة، القاهرة، ط4، 1996م.

48. محمود العالم المنزلى، أنوار الربيع في الصرف والنحو والمعاني والبيان والبديع، مطبعة التقدم العلمية، مصر، ط1، 1322هـ.

49. مصطفى ديب البغا ومحي الدين ديب متو، الواضح في علوم القرآن، دار الكلم الطيب ودار العلوم الإنسانية للنشر والتوزيع، ط2، 1998م.

50. مصطفى مسلم، التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، كلية الدراسات العليا والبحث العلمي، جامعة الشارقة، الإمارات العربية المتحدة، ط1، 2010م، مج09.

51. نديم حسين وعكور، القواعد التطبيقية في اللغة العربية، مؤسسة بحسون للنشر والتوزيع، بيروت، ط2، 1998م.

ب- المراجع باللغة الأجنبية:

1. Cambrige 106ublishe learmers, dictionary, cambrge 106ublished106 press .pulbished 2008 .

رابعا: الرسائل والأطروحات الجامعية

1.أمينة تجاني، الحجاج في رسائل الشيخ أحمد التيجاني دراسة في وسائل الاقناع رسالة ماستر في علوم اللسان، جامعة حمه لخضر الوادي، 2014- 2015.

2.بوسلاح فايزة، السلالم الحجاجية في القصص القرآني –مقاربة تداولية-، أطروحة دكتوراه في اللسانيات، جامعة أحمد بن بلة، وهران1، 2015/2014م.

3.جليلة بنت سعيد بن سليم القاسيمية، البعد الحجاجي في الأعمدة الأدبية(مجلة دبي الثقافية نموذجا)، رسالة ماجستير في اللغة العربية وآدابها، عمان، جامعة نزوة، 2016م.

4.سارة أحمد معروف، الحذف في الحديث النبوي الشريف، بحث مقدم لنيل درجة الماجستير في النحو والصرف، جامعة أم درمان الإسلامية، 2010م.

5.محمد شفيع، جزء عمّ من القرآن الكريم وظاهرة الإيجاز فيه، أطروحة لنيل درجة الدكتوراه في اللغة العربية، جامعة بشاور، باكستان، 1997م.

خامسا: المجلاّت والمقالات

1.أحمد فتحي رمضان، وعدنان عبد السلام أسعد، الاحتباك في القرآن الكريم رؤية بلاغية، مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية، مج4، العدد2، 2006م.

2.بوزناشة نور الدين، الحجاج في الدرس اللغوي الغربي، مجلة العلوم الإنسانية، السنة السابعة، ع 44، 2010م.

3.حبيب أعراب، الحجاج والاستدلال الحجاجي "عناصر استقصاء نظري"، مجلة عالم الفكر، ع1، مج30، يوليو- سبتمبر 2001م، الكويت.

4.عبد السلام الراغب، البنية الإيقاعية في الأسلوب القرآني، مقال منشور على الموقع: islamsyria.com.

5.فراكيس محمد، الدلالات الصوتية للصفات العامة والصفات الخاصة في القرآن الكريم، مجلة جيل الدراسات الأدبية والفكرية، ع34، أكتوبر 2017م.

6.محمد العبد، النص الحجاجي العربي، مجلة جذور، ع21، مج9، ج1، سبتمبر2005.

7.محمود طلحة، القيمة الحجاجية لأسلوب القصر في اللغة العربية، مجلة الخطاب، ع3، 1 مايو 2008م، المغرب.

8.مفلاح بن عبد الله، آليات الحجاج في الخطاب القرآني الاستفهام نموذجا، المركز الجامعي غليزان، منشور على الموقع: www.ahlalhdeeth.com.

9.نعيمة يعمرانن، مقال "الحجاج اللغوي عند ديكرو وأنسكومبر"، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، منشور على الموقع: viewfile. artiche. dz.

10. ياسر علي عبد الخالدي وكاظم صافي حسين الطائي، الجرس الصوتي دراسة جمالية في ألفاظ غريب القرآن مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية، ع18، كانون الأول 2014م.

11. أبو بكر العزاوي، الحجاج والمعنى الحجاجي ضمن كتاب التحاجج طبيعته مجالاته وظائفه وضوابطه، تنسيق حمو النقاري، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط1، 2006م.

12. عبد الله صولة، الحجاج: أطره ومنطلقاته وتقنياته من خلال مصنف في الحجاج الخطابة الجديدة، لبيرلمان وتيتيكا، ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، إشراف حمادي صمود.

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات:

الموضوع	الصفحة
التوشيح	
شكر وتقدير	
الاهداء	
الملخص	
المقدمة	أ- د
مدخل: الحجاج اللغوي مفهومه ومنهجه	
أولا: الحجاج	**06**
مفهومه	**06**
المعنى المعجمي	**06**
المفهوم الاصطلاحي	**08**
ثانيا: الحجاج في النظرية اللغوية	**10**
مفهومه	**10**
نظريته	**11**
منهج البحث فيه	**15**
قانون الخفض	**19**
قانون تبديل السلم	**19**
قانون القلب	**19**
الفصل الأول: الحجاج في القرآن الكريم	
تمهيد	22
أولا: الحجاج اللغوي القرآني	**23**
مفهومه	**23**
منهج البحث فيه	**25**
مستوى المعجم القرآني	**26**

مستوى التركيب: خصائصه ووجوه الحجاج فيه	**31**
مستوى الصورة في القرآن: خصائصها ووجوه الحجاج فيها	**32**
ثانيا: قصار السور	**33**
تعريفها وخصائصها الموضوعية والفنية	**33**
تعريفها	**33**
خصائصها الموضوعية والفنية	**34**
الخصائص الموضوعية	**34**
الخصائص الفنية (الأسلوبية)	**36**
حجاجية قصار السور الفنية	**37**
حجاجية المادة المعجمية	**38**
حجاجية المادة الصوتية	**42**
حجاجية البنية الصرفية	**45**
الفصل الثاني: حجاجية التراكيب في قصار السور	
تمهيد	**50**
أولا: المؤكدات في التراكيب وأبعادها الحجاجية	**52**
مظاهر الحجاج في التوكيد داخل الجملة بـ:	**52**
إن مع اللام	**52**
القسم	**55**
القصر	**58**
البدل	**60**
المفعول المطلق	**63**
العطف	**66**
حجاجية التوكيد بين الجمل بـ:	**68**
التكرار (المعنوي)	**68**

التذييل	**70**
الاعتراض	**73**
التنزيه	**73**
الدعاء	**73**
التهويل	**74**
ثانيا: الحذف في التراكيب وأبعاده الحجاجية	**77**
مظاهر الحجاج في الحذف داخل الجملة ب:	**77**
الاختزال	**77**
حذف الفاعل والبناء للمجهول	**78**
حذف المفعول به	**79**
حذف جملة جواب الشرط	**81**
حذف جملة جواب القسم	**83**
حجاجية الحذف بين الجمل ب:	**85**
الاحتباك	**85**
الاكتفاء	**89**
الخاتمة	**96**
قائمة المصادر والمراجع	
القرآن الكريم	**100**
المعاجم	**100**
المصادر	**100**
المراجع	**101**
الرسائل والأطروحات الجامعية	**106**
المجلات والمقالات	**106**
فهرس الموضوعات	**109**

تم بحمد الله